



جَعَلَ فِي التِّرَاسَاتِ الْمُعْجَمِيَّةِ وَالنَّحْوِيَّةِ
وَأَوَّجَهُ إِعْرَابُهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
دراسة وصفيّة دلاليّة

إعداد

د. عزت الجريتلي

أستاذ النحو والصّوف والعروض المساعد قسم اللغة العربيّة

كلّية الآداب - جامعة الفيوم

الإستشهاد المرجعي:

عزت الجريتلي (٢٠٢١). جَعَلَ فِي التِّرَاسَاتِ الْمُعْجَمِيَّةِ وَالنَّحْوِيَّةِ وَأَوَّجَهُ إِعْرَابُهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ دراسة وصفيّة دلاليّة. - حولىة كلىة الآداب. جامعة بني سويف. مج ١٠: ج ١. - ص ص ٤٠٧ - ٥٠٧

المستخلص:

فهذه دراسة عنوانها: "جعل" فى الدراسات المعجمية والنحوية، وأوجه إعرابها فى القرآن الكريم، دراسة وصفية دلالية، وقد صيغ العنوان من المشكلة التى يعالجها البحث، وهى مواقف اللغويين والنحويين والمفسرين من الإستعمال الدلالي للفعل (جعل) بدلالاته المتعددة فى السياقات القرآنية

المختلفة، وما يتصل بمواقفهم من إختلاف مدارسهم النحوية والتفسيرية وإنتماءاتهم الفكرية، كان لها تأثير في هذه المواقف.

والهدف من الدراسة: البحث عن سر إختلاف الدلالات في التعبير القرآني للفعل (جعل). وهل هناك فرق بين المعنى المعجمي للفعل (جعل) والتعبير البياني في القرآن الكريم. من هنا تأتي هذه الدراسة لتجلية هذا الموضوع بصورة واضحة ودقيقة. والكشف عن الإستعمال القرآني للفعل (جعل) بدلالاته المختلفة في السياقات القرآنية. وتحديد موقف النحويين والمفسرين العلمي من هذا الإستعمال، والكشف من خلال ذلك عن وجوه الإتفاق والإختلاف بينها، والأسباب الكامنة وراء هذا الإختلاف أو الإتفاق. بالإضافة إلبیان دور الإعجاز القرآني للفعل (جعل) في السياقات القرآنية المتنوعة.

الكلمات الدالة: فعل جعل - القرآن الكريم - الإعجاز القرآني - المعنى المعجمي

المقدّمة

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على أشرفِ المرسلين، سيّدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابه ومَنْ اتَّبَعَ سُنَّتَهُ إلى يومِ الدِّين، أمّا بعدُ،

* عنوانُ الدِّراسة:

فهذه دراسةٌ عنوانُها: (جعل في الدِّراسات المعجميّة والنَّحويّة، وأوجه إعرابها في القرآن الكريم، دراسةٌ وصفيةٌ دلاليّة)

* مشكلةُ البحث:

وقد صيغَ العُنوانُ من المُشكلةِ الَّتِي يُعالِجُها البحثُ، وهي مواقفُ اللُّغويين والنَّحويين والمُفسِّرين من الاستعمال الدَّلالي للفعل (جعل) بدلالاته المُتعدِّدة في السِّياقاتِ القرآنية المُختلفة، وما يتَّصلُ بمواقفهم من إختلاف مدارسهم النَّحويّة والتَّفسيريّة وإنتماءاتهم الفكرية، كان لها تأثيرٌ في هذه المواقف.

فقد لفت نظري وأنا أقرأ في المصادر اللغوية بعامة والتفسيرية بخاصة اختلاف العلماء حول دلالات الفعل (جعل) في القرآن الكريم، فالمعنى الأساسي لها هو (صَيَّرَ) المتعدية إلى مفعولين. إلا أنه توجد دلالات أخرى لها منها: (صَنَعَ، خَلَقَ، سَنَّ، أَوْجَبَ، شَرَعَ، أَمَرَ، حَكَّمَ، وَضَعَ، سَمَّى، أَلْفَى، أَحَدَثَ، أَنْشَأَ، سَيَّرَ، اعتقد، أَرْسَلَ، رَكَّبَ، مَهَّدَ، ضَيَّقَ، أَضْرَبَ، وَهَبَ، سَهَّلَ، أَبَدَعَ، اضْطَرَّ، أَرَسَى، بَعَثَ... إلّا أنّها تدور حول محور واحد هو " صَيَّرَ ": قال أبو العباس المقرئ: ورد لفظ الجعل في القرآن على خمسة أوجه:

- الأول: بمعنى " خلق " قال تعالى: [وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ] {الزُّخْرَف: ١٩}، وقوله [وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا] {فَصِّلَتْ: ١٠}، وقوله: [وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ] {الفرقان: ٦٢}
- والثاني: بمعنى " بعث " قال تعالى: [وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا] {الفرقان: ٣٥}
- والثالث: بمعنى " قدره " قال تعالى [وَجَعَلَ اللَّهُ أَنْدَادًا] {الزُّمَر: ٨} وقوله تعالى: [وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاءً] {الزُّخْرَف: ١٩}
- وقوله تعالى: [قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ] {فَصِّلَتْ: ٩} أي تقولون.
- الرابع: بمعنى " بَيَّن " قال تعالى: [إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] {الزُّخْرَف: ٣} أي: بَيَّنَّاهُ بَحَالِهِ وَحَرَامِهِ.
- الخامس: بمعنى " صَيَّرَ " قال تعالى: [وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً] {الإِسْرَاء: ٤٦} أي: صَيَّرْنَا، وقوله [أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ] {التَّوْبَة: ١٩}، وقوله [وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا] {النمل: ٦١}، وقوله: [إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا] {يُوسُف: ٨} ^(١).

(١) اللباب: ٨ - ٩. لابن عادل

و (جعل) عند الشَّيخ الدَّرَوِيش بمعنيين، حيثُ قال: " (جعل) تكونُ بمعنى أنشأ وأحدث، فتنصبُ مفعولاً واحداً. وتكونُ بمعنى صَيَّرَ فتتعدَّى إلى مفعولين. وقال ابنُ جَنِّي في " الخصائص " : " إنَّ العربَ قد تنسَعُ فتوقِعُ أحدَ الفعلين موقعَ الآخرِ إِيذاناً بأنَّ هذا الفعلَ في معنى الآخرِ " والفرقُ بينَ الجعلِ والخلقِ دقيقٌ يلتقطهُ الخاطِرُ المُرْهَفُ، وهو أنَّ الخلقَ فيه معنى التَّقْدِيرِ، والجعلُ فيه معنى التَّضْمِينِ، كإنشاءِ شيءٍ من شيءٍ، أو تصييرِ شيءٍ شيئاً، أو نقله من مكانٍ إلى مكانٍ آخر. " ^(١) وهذا يوضِّحُ دورَ التَّعبيرِ القرآني وتنوعه.

وقد اختيرت هذه المُشكلةُ في ضوءِ دافعين مُهمَّين:

الأوَّلُ: الاستعمالُ الدَّلالي للفعلِ (جعل) في القرآنِ من المجالاتِ الواسعةِ لعملِ النُّحاةِ واللُّغويينِ والمُفسِّرينَ، ومن ثَمَّ تظهرُ فيه بوضوحٍ اختلافاتهم واتِّفاقاتهم، كما تظهرُ أدواتهم الفكريةُ من خلالِ جوانبِ الاتِّفاقِ والاختلافِ.

الثَّاني: تواترُ تراكيبِ قرآنيَّةٍ استُعملَ فيها الفعلُ (جعل) بدلالاتٍ مُختلفةٍ ذاتِ أسلوبٍ خاصٍّ، مثل التَّراكيبِ الإنشائيَّةِ التي تبدأ بـ (أَجْعَلْنَمْ) {التوبة: ١٩}... [أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ] {البلد: ٨}... والتَّراكيبِ الشرطيَّةِ مثل: [وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ] {الأنعام: ٩}...، والتَّراكيبِ التي وردَ فيها الفعلُ (جعل) للمُخاطب بصيغتي المضارع (تجعل) والماضي (جعلت) وتكون للخبر. مثل: [لَا نَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ] {الإسراء: ٢٢}...

ومن هُنا نتحدَّدُ أهدافَ البحثِ في الآتي:

^(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٢ - ٣٢٥. للشيخ محيي الدِّين الدَّرَوِيش.

* أهداف البحث:

(١) البحث عن سرِّ اختلاف الدَّلالاتِ في التَّعبيرِ القرآني للفعل (جعل). وهل هناك فرقٌ بينَ المعنى المُعْجَمي للفعلِ (جعل) والتَّعبيرِ البياني في القرآن الكريم. من هنا تأتي هذه الدِّراسةُ لتجلية هذا الموضوع بصورة واضحة ودقيقة.

(٢) الكشف عن الاستعمال القرآني للفعل (جعل) بدلالاته المختلفة في السِّياقات القرآنية.

(٣) تحديد موقف النَّحْوِيِّينَ والمُفَسِّرِينَ العلمي من هذا الاستعمال، والكشف من خلال ذلك عن وجوه الاتِّفاقِ والاختلافِ بينها، والأسباب الكامنة وراء هذا الاختلاف أو الاتِّفاقِ.

(٤) بيان دور الإعجاز القرآني للفعل (جعل) في السِّياقات القرآنية المتنوعة.

(٥) بيان موقف النُّحاة والمُفَسِّرِينَ من القراءات التي وردت في الفعل (جعل) وكيف وجهونها نحويًّا وصرفيًّا.

* منهج الدِّراسة وإجراءاته:

ولتحقيق الأهداف السابقة اتَّبعَت الدِّراسةُ مجموعةً من الخطوات الإجرائية ومنهجاً، وذلك على النحو التَّالي:

أولاً: تحديد دلالة الفعل (جعل) في الدِّرَاسَاتِ الْمُعْجَمِيَّةِ:

وذلك بواسطة تحليل معجمي دلالي اعتمدَ على معاجم المعاني القرآنية بصفةٍ أساسيةٍ،

مثل:

(المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، و (البصائر) للفيروزابادي (٨١٨ هـ)، والمعجم التي اهتمت بالدلالات المجازية، مثل: (أساس البلاغة) للزمخشري (٥٣٨ هـ)، و (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٤ هـ)، و (تهذيب اللغة) للأزهري (ت ٣٧٠ هـ) و (لسان العرب) لابن منظور (ت ٧١١ هـ).

ثانياً: اختيار نماذج من السور الطوال للتطبيق، وذلك بناءً على:

أ - تواتر الفعل (جعل) بدلالاته المختلفة بكثرة، وهذا واضح من الجدول الإحصائي الملحق بالدراسة.

ب - تواتر التراكيب ذات الأبنية اللغوية الخاصة بالفعل (جعل) وهي تراكيب تتراوح بين الخبر والإنشاء، وتتسم بالطول في سياق الآية.

ثالثاً: بيان موقف النحاة واللغويين والمفسرين من دلالة الفعل (جعل) في النماذج المختارة، وما اتفقوا فيه أو اختلفوا.

رابعاً: الترجيح بين العلماء حال الاختلاف بينهم.

وقد اتبعت الدراسة هذه الإجراءات إطار منهجٍ وصفيٍ دلاليٍّ ؛ لأنه يصفُ مواقف النحاة واللغويين والمفسرين، كما يصفُ التركيب القرآني من خلال تحليلاتهم له، ويُبيِّن أذر ذلك على تحديد الفعل (جعل).

* مادة الدراسة ومصادرها:

تستقي الدراسة مادتها من القرآن الكريم، وبصفة خاصة (نماذج من السور الطوال) أمّا مصادرها فنظراً لأنَّ الموضوع يتَّسم بالتداخل بين عملِ النحويين وعملِ المفسرين، فقد استعانت الدراسة بمصادر تتَّسم بهذا التداخلِ توحياً للدقة العلمية، ولهذا مثلت مصادرُ

إِعْرَابِ الْقُرْآنِ، وَمَعَانِيهِ، وَمُشْكَلِهِ، الْمَصَادِرَ الرَّئِيسِيَّةَ الَّتِي اسْتَقْتَتْ مِنْهَا الدِّرَاسَةُ مَوَاقِفَ النُّحَاةِ، وَوُضِّفَتْ الدِّرَاسَةُ الْمَصَادِرَ التَّفْسِيرِيَّةَ لِلْقُرْآنِ لِبَيَانِ الدَّلَالَاتِ الَّتِي رَأَاهَا النُّحَاةُ، أَوْ لِلتَّرْجِيحِ بَيْنَهُمْ، لِذَلِكَ تَأْتِي آرَاءُ الْمُفَسِّرِينَ غَالِباً مُتَضَافَةً مَعَ آرَاءِ النُّحَوِيِّينَ. وَمِنْ هَذِهِ الْمَصَادِرِ التَّفْسِيرِيَّةِ: (جَامِعُ الْبَيَانِ) لِلطَّبْرِيِّ (ت ٣١٠ هـ)، و (الكَشَافُ) لِلزَّمَخْشَرِيِّ (ت ٥٣٤ هـ)، و (الْمَحَرَّرُ الْوَجِيزُ) لِابْنِ عَطِيَّةِ الْأَنْدَلُسِيِّ (ت ٥٤٣ هـ)، و (مِفْتَاحُ الْغَيْبِ) لِلرَّازِيِّ (ت ٦٠٦ هـ)، و (الْبَحْرُ الْمَحِيطُ) لِأَبِي حَيَّانِ الْأَنْدَلُسِيِّ (ت ٧٥٤ هـ)، و (الدَّرُّ الْمَصُونُ) لِلْسَّمِينِ الْحَلَبِيِّ (ت ٧٥٦ هـ) ...

كَمَا أَنَّ الدِّرَاسَةَ اقْتَصَرَتْ فِي تَوْضِيهِ هَذِهِ الْمَصَادِرِ عَلَى مَا يَخُصُّ الْجَانِبَ النَّحْوِيَّ وَالدَّلَالِيَّ لِلتَّرَاكِبِ مَحَلِّ الدِّرَاسَةِ.

* الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَةُ:

وَأَمَّا عَنِ الدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ، فَلَا تَوْجُدُ دِرَاسَةً تَخَصَّصَتْ فِي دِرَاسَةِ دَلَالَاتِ الْفِعْلِ (جَعَلَ) فِي الدِّرَاسَاتِ الْمُعْجَمِيَّةِ وَالنَّحْوِيَّةِ وَالتَّفْسِيرِيَّةِ - عَلَى حَدِّ عِلْمِي - وَإِنْ كَانَتْ هُنَاكَ دِرَاسَاتٌ كَثِيرَةٌ نَحْوِيَّةٌ وَدَلَالِيَّةٌ لِمَوْضُوعَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي اللُّغَةِ بَعَامَّةً، وَالنَّحْوِ بَخَاصَّةً، لَا يَتَسَعُّ الْمَقَامُ لِعَرْضِهَا.

* أَبْوَابُ الدِّرَاسَةِ وَفُصُولُهَا:

وَقَدْ جَاءَتْ الدِّرَاسَةُ مَقْسَمَةً إِلَى: مُقَدِّمَةٍ تَوْضِّحُ مَوْضُوعَ الْبَحْثِ، وَأَهْدَافَهُ، وَمُشْكَلَتَهُ، وَمَنْهَجَهُ، وَخَطَّتَهُ. ثُمَّ تَمْهِيدٌ يَتَنَاوَلُ الدَّلَالَاتِ الْمُعْجَمِيَّةَ لِلْفِعْلِ (جَعَلَ)، ثُمَّ عَرْضٌ لَاسْتِعْمَالَاتِ (جَعَلَ) الدَّلَالِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ مِنْ خِلَالِ الْآيَاتِ الْمُخْتَارَةِ تَحْتَ عُنْوَانٍ: دَلَالَةُ (جَعَلَ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (نَمَازِجٌ مُخْتَارَةٌ). ثُمَّ خَاتِمَةٌ لِلْبَحْثِ لَتَعْرِضَ أَهَمَّ نَتَائِجِهِ.

التّمهيد

أولاً: جعل في الدّراسات المعجميّة:

اعتمدتُ في هذه النّقطة من البحثِ على مجموعةٍ من الدّراسات المعجميّة منها:

(أ) العين: للخليل بن أحمد الفراهيديّ. المتوفى (١٧٤ هـ)

(ب) تهذيب اللّغة: للأزهريّ المتوفى (٣٧٠ هـ).

(ج) الصّحاح للجوهري (٣٩٣ هـ)

(د) مقاييس اللّغة: لابن فارس. المتوفى (٣٩٥ هـ)

(هـ) المفردات في غريب القرآن: للرّاعب الأصفهانيّ. المتوفى (٥٠٢ هـ)

(و) أساس البلاغة: للزمخشريّ. المتوفى (٥٣٨ هـ)

(ز) لسان العرب: لابن منظور. المتوفى (٧١١ هـ)

(ح) المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير: للفيوميّ. المتوفى (٧٧٠ هـ)

(ل) بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروزآبادي (٨١٨ هـ)

وقد رتبناها ترتيباً تاريخيّاً من الأقدم إلى الأحدث، حيثُ رصدتُ دلالات (جعل) لديهم بدءاً من (العين) للخليل في القرن الثّاني الهجري وصولاً إلى (بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروزآبادي في القرن التاسع الهجري).

وهذه أقوالهم في هذا الشّأن:

* حيثُ ذكر الخليلُ في باب (العين والجيم واللام معهما) ما نصّه: " جعل: جعلَ جَعَلًا: صَنَعَ صُنْعًا، وَجَعَلَ أَعْمَ لِأَنَّكَ تَقُولُ: جَعَلَ يَأْكُلُ وَجَعَلَ يَصْنَعُ كَذَا وَلَا تَقُولُ صَنَعَ يَأْكُلُ "

وقال أيضاً: " والجعلُ: ما جعلت لإنسان أجراً له على عملٍ يعملُهُ و الجعالةُ أيضاً والجُعالاتُ: ما يتجاعلُ النَّاسُ بينهم عند بعثٍ أو أمرٍ يَحْزُرُ بِهِمْ من السُّلطان. والجعلُ: دَابَّةٌ من هوام الأرض. والجعلُ واحدُها جَعَلَةٌ: وهي النَّخلُ الصَّغار. والجِعَالُ والجِعَالَةُ: خِرْقَةٌ تُنْزَلُ بها القِدْرُ عن رأسِ النارِ يُنْقَى بها من الحرِّ. " (١).

من نصِّ الخليل السَّابِقِ يَنْضَحُ لي أَنَّهُ جَعَلَ (جعل) أعمُّ من أيِّ فعلٍ آخِرٍ، وأنَّهُ لم يذكر من معانيها إلَّا (صنع).

* وقال الأزهريُّ: " جعل: أبو العباس عن ابن الأعرابي قال: جَعَلَ: صَيَّرَ. وجَعَلَ: أقبل. وجعل: خَلَقَ. وجَعَلَ: قال، ومنه قوله: [إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] {الزُّخْرَف: ٣} أي قلناه. وقال غيره: صَيَّرَنَاهُ. ويقال جَعَلَ فلانٌ يصنع كذا وكذا، كقولك طَفِقَ وعَلِقَ يفعل كذا وكذا. ويقال جعلته أحذقَ النَّاسِ بعمله، أي صيَّرتَه. وقول الله عز وجل: [فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ] {الفيل: ٥} معناه صيَّره. وقال عز وجل: [وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ] {الأنبياء: ٣٠} أي خلقنا. وإذا قال المخلوق: جَعَلْتُ هذا الباب من شجرة كذا، فمعناه صيَّرتَه. " (٢).

من نصِّ الأزهريِّ السَّابِقِ يَنْضَحُ لي أَنَّهُ قد ذكر عدَّة معانٍ لـ (جعل) هي (صَيَّرَ، وأقبل، وخلق، وقال) واستشهد على هذه المعاني بمجموعة من الآيات القرآنيَّة.

(١) العين: ١ - ٢٢٩ هـ

(٢) تهذيب اللُّغة: ١ - ١١٣.

* ولم يذكر الجوهري من معاني (جعل) إلا (صير، وسمي)، حيث قال: " (جعل) جعلت كذا أجعله جعلاً، ومجعلاً. وجعله الله نبياً، أي صيره. وجعلوا الملائكة إناثاً، أي سموهم." (١)

* وذكر ابن فارس ما ذكره الخليل بن أحمد ولم يذكر من معاني (جعل) إلا (صنع)، حيث قال: " وجعلت الشيء: صنعتُهُ. قال الخليل: إلا أن جعل أعم، تقول: جعل يقول، ولا تقول: صنع يقول." (٢).

* وقال الراغب الأصفهاني: " جعل: جعل لفظ عام في الأفعال كلها وهو أعم من فَعَلَ وصنَعَ وسائر أخواتها، ويتصرف على خمسة أوجه،

الأول: يجري مجرى صار وطفق فلا يتعدى نحو: جعل زيد يقول كذا، قال الشاعر:

فقد جعلت قلوصل بني سهيل ** من الأكوار مرتعها قريب

والثاني: يجري مجرى أوجد، فيتعدى إلى مفعول واحد نحو: قوله عز وجل: [وجعل

الظلمات والنور] {الأنعام: ١} - [وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة] {النحل: ٧٨}

والثالث: في إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه نحو: [جعل لكم من أنفسكم أزواجاً]

{النحل: ٧٢}، [وجعل لكم من الجبال أكناً] {النحل: ٨١} [وجعل لكم فيها سُبُلًا] {الرُحرف: ١٠}

(١) الصّاح تاج العربيّة وصاح الجوهريّ، لإسماعيل بن حمّاد الجوهريّ: ٤ - ١٦٥٦. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٧٨ م.

(٢) مقاييس اللغة: ١ - ٤١٠.

والرَّابِع: في تصيير الشيء على حالة دون حالة نحو: [الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا] {البقرة: ٢٢} وقوله: [جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا] {النحل: ٨١} [وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا] {نوح: ١٦} [إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا] {الزُّخْرَف: ٣}

والخامس: الحكم بالشيء على الشيء حقًا كان أو باطلا، فأما الحق فنحو قوله تعالى: [إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ] {القصص: ٧}، وأما الباطل فنحو قوله عز وجل: [وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا] {الأنعام: ١٣٦} [وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ] {النحل: ٥٧} [الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ] {الحجر: ٩١}.... " (١).

من نصِّ الرَّاغِبِ يَنْضَحُ لي أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ (جعل) أعمُّ من الأفعال الأخرى، وأَنَّهُ يَأْتِي على خمسة أوجه، هي:

أ - يَكُونُ لازماً فلا يَتَعَدَّى فيجري مجرى (صار وطفق).

ب - بمعنى (أوجد) فيتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ.

ج - بمعنى (خلق، صنع).

د - بمعنى (صير) فيتعدَّى لمفعولين.

هـ - بمعنى (حكم).

(١) المفردات في غريب القرآن: للرَّاغِبِ الْأَصْفَهَانِي، أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ: ١ - ٩٤. تحقيق محمَّد سَيْدِ كِيلَانِي، دار المعرفة، لبنان.

* ولم يذكر الرّمخسريّ من معاني (جعل) إلاّ ثلاثة معانٍ هي: (خلق، وصيّر، وأخذ) حيثُ قال: " [وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ] {الأنعام: ١}: خلقهما، [وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا] {نوح: ١٦}: صيّرهما كذلك. وَجَعَلَ يفعلُ كذا... " (١).

* وقال ابنُ منظور: " (جعل) جَعَلَ الشيءَ يَجْعَلُهُ جَعْلًا، وَمَجْعَلًا واجتعله وَضَعَهُ،

قال أبو زيد:

وما مُغِبُّ بَثْنِي الحِنُو مُجْتَعِلٌ * * في الغِيلِ في ناعِمِ البُرْدِيِّ مُحْرَابًا

وقال يرثي اللّجلاج ابن أخته:

ناطَ أَمَرَ الضَّعَافِ واجْتَعَلَ اللَّيْ * * لَ كَحَبْلِ العَادِيَةِ المَمْدُودِ

أي: جَعَلَ يَسِيرُ الليلَ كُلَّهُ مستقيمًا كاستقامة حَبْلِ البئر إلى الماء، والعاديّة: البئر القديمة، وَجَعَلَهُ يَجْعَلُهُ جَعْلًا: صَنَعَهُ وَجَعَلَهُ: صَيَّرَهُ قال سيبويه: جَعَلْتُ مَتَاعَكَ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ: أَلْقَيْتَهُ، وقال مرة: عَمَلْتَهُ، والرَّفْع على إقامة الجملة مقام الحال، وَجَعَلَ الطينَ خَرْفًا والقَبِيحَ حَسَنًا: صَيَّرَهُ إِيَّاهُ،

وَجَعَلَ البَصْرَةَ بَغْدَادَ: ظَنَّنَهَا إِيَّاهُ، وَجَعَلَ يفعل كذا أَقْبَلَ وأَخَذَ، أنشد سيبويه:

وقد جَعَلْتُ نَفْسِي تَطِيبُ لَصْغَمَةٍ * * لَصْغَمِهَا يَفْرَعُ العَظَمَ نَابُهَا

وقال الزّجّاجُ: جَعَلْتُ زَيْدًا أَخَاكَ نَسَبْتَهُ إِلَيْكَ، وَجَعَلَ: عَمِلَ وَهَيَّأَ، وَجَعَلَ: خَلَقَ، وَجَعَلَ:

قال، ومنه قوله تعالى [إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا] {الرّحرف: ٣} معناه: إِنَّا بَيَّنَّاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا حكاة

(١) أساس البلاغة: للرّمخسريّ، محمود بن عمر بن جار الله: ١ - ٦٣.

الزجاج، وقيل: قُلْنَا، وقيل: صَيَّرْنَاهُ، ومن هذا قوله [وَجَعَلَنِي نَبِيًّا] {مريم: ٣٠} وقوله عَزَّ وَجَلَّ [وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِائًا] {الزخرف: ١٩}.

قال الزجاج: الجَعْلُ ههنا بمعنى القول والحكم على الشيء كما تقول: قد جعلتُ زيداً أعلم الناس أي: قد وصفته بذلك وحكمت به، ويقال: جَعَلَ فلان يصنع كذا وكذا، كقولك طَفِقَ وَعَلِقَ يفعل كذا وكذا، ويقال: جَعَلْتُهُ أَحَدُكَ النَّاسِ بِعَمَلِهِ، أي: صَيَّرْتُهُ، وقوله تعالى [وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ] {الأنبياء: ٣٠} أي: خَلَقْنَا، وإذا قال المخلوق: جَعَلْتُ هذا الباب من شجرة كذا، فمعناه: صَنَعْتُهُ، وقوله عز وجل [فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ] {الفيل: ٥} أي: صَيَّرَهُمْ، وقوله تعالى (وَجَعَلُوا فِيهِ شُرَكَاءَ) أي هل رأوا غيرا فيه خَلَقَ شَيْئاً فَاشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ خَلْقُ فِيهِ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِهِ؟ وقوله [وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِائًا] {الزخرف: ١٩} أي: سَمَّوْهُمْ، وَتَجَاعَلُوا الشَّيْءَ: جَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، وَجَعَلَ لَهُ كَذَا. قوله « وجعل له كذا إلخ » هكذا في الأصل: شَارَطُهُ بِهِ عَلَيْهِ، وكذلك جَعَلَ لِلْعَامِلِ كَذَا... " (١). من النَّصِّ السَّابِقِ يَتَّضِحُ لِي أَنَّ ابْنَ مَنْظُورٍ قَدْ ذَكَرَ الْمَعَانِي الْآتِيَةَ لِلْفِعْلِ (جَعَلَ) وَهِيَ عَلَى التَّرْتِيبِ: (وَضَعَ - صَيَّرَ - صَنَعَ) وَذَكَرَ مَا ذَكَرَهُ سَبِيحِيَّةً مِنْ مَعَانِي هِيَ (أَلْقَى، وَعَمِلَ) وَذَكَرَ (ظَنَّ - أَقْبَلَ - أَخَذَ) وَذَكَرَ مَا ذَكَرَهُ الرَّجَّاجُ مِنْ مَعَانِي هِيَ (عَمِلَ - هَيَّأَ) وَمِنْ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرَهَا أَيْضاً (قَالَ - بَيَّنَّ - قَالَ - حَكَمَ - وَصَفَ - خَلَقَ - سَمَّى - شَارَطَ).

(١) لسان العرب: لابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري: ١١ - ١١٠، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، مصدر الكتاب برنامج المحدث المجاني، المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.

* ولم يذكر الفيومي من معاني (جعل) إلا معنيين هما (صنع - سمى)، حيث قال: " جعلت الشيء جعلاً صنعته أو سمّيته... " (١)

* أمّا الفيروزآبادي فقد ذكر عدّة معانٍ لصيغة (جعل) حيث قال: " جعله، كمنعه، جعلاً، ويضمّ، وجعّاله، ويكسر، واجتعلّه صنّعه، و الشيء جعلاً وضعه، و بعضه فوق بعض: ألقاه، والقبیح حسناً: صيّره، و البصرة بغداد: ظنّها إياها، و له كذا على كذا: شارطه به عليه. وجعل يفعل كذا: أقبل وأخذ، ويكون بمعنى سمى، ومنه: [وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً] {الزخرف: ١٩}، وبمعنى التبيين: [إنّا جعلناه قرآناً عربياً] {الزخرف: ٣}، وبمعنى الخلق: [وجعل الظلمات والنور] {الأنعام: ١}، وبمعنى التشريف: [جعلناكم أمة وسطاً] {البقرة: ١٤٣} [جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس] {المائدة: ٩٧}، وبمعنى التبديل: [فجعلنا عاليها سافلها] {الحجر: ٧٤}، وبمعنى الحكم الشرعي: جعل الله الصلوات المفروضات حمساً، وبمعنى التحكم البدعي: [الذين جعلوا القرآن عضين] {الحجر: ٩١}، وقد تكون لازمة، وهي الداخلة في أفعال المقاربة، كقوله:

وقد جعلت إذا ما قمت يُثقلني ... ثوبي فأنهض نهض الشارب النمل

وجعلت زيدا أخاك: نسبته إليك. والجعالة، مثلثة، وكتاب وقفل وسفينة: ما جعله له على عمله. وتجاعلوا الشيء: جعلوه بينهم... " (٢).

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ: ٢ - ١٥١ مصدر الكتاب: موقع الإسلام. WWW.aL-ISLaM.COM

(٢) القاموس المحيط: للفيروزآبادي: ٣ - ٦٨. مصدر الكتاب: موقع الوراق WWW.aiWRRaq.COM المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.

فالفيروزأبادي ذكر لـ (جعل) المعاني الآتية: (صنع - وضع - ألقى - صيّر - شارط - أقبل - أخذ - سمى - بين - خلق - شرف - بدل - حكم - تحكّم - نسب)، فهو قد زاد على المعاني التي ذكرها السابقون المعاني الآتية: (شرف - بدل - - تحكّم - نسب).

دلالة (جعل) في القرآن الكريم (نماذج مختارة)

* (١) سورة البقرة:

- النموذج الأوّل:

قوله تعالى [الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] {البقرة: ٢٢}

ذهب الزّجاج، وأبو جعفر النّحاس، وابن سيده، وابن عطية، وأبو حيّان الأندلسي، والسّمينيّ الحلبيّ، وابن عادل، والألوسيّ إلى أنّ " جعل " في هذه الآية بمعنى " صيّر "، أي أنّها تتعدّى إلى مفعولين هما: الأرض، وفراشا.

وذهب العكبريّ إلى أنّها تتعدّى إلى مفعولٍ واحدٍ هو " الأرض "، وأنّ " فراشاً " حالٌ. وجوّز أن تكون بمعنى " صيّر " فتتعدّى إلى مفعولين هما: الأرض، وفراشا.

وهذه أقوالهم في هذا الشأن :

حيث قال الزّجاج: " والأرض مفعولٌ أوّلٌ لجعل وفراشاً مفعولٌ ثانٍ، ومعنى جعل (صيّر)"^(١). وقال النّحاس: " (الأرض فراشاً) مفعولان لجعل (والسّماء بناءً) عطفت... " ^(٢).

(١) إعراب القرآن: ١ - ٨٦.

(٢) إعراب القرآن: ١ - ١٩٨.

وقال ابنُ سيدة: " وجعلَ بمعنى صَيَّرَ، لذلك نصبتُ الأرضَ، وفراشاً، ولكم مُتعلِّقٌ بجعلٍ، وأجازَ بعضهم أن ينتصبَ فراشاً وبناءً على الحال، على أن يكونَ (جعلَ) بمعنى (خَلَقَ) فيتعدَّى إلى واحدٍ " ^(١). وقال ابنُ عطية: " وجعلَ بمعنى (صَيَّرَ) في هذه الآية ؛ لتعديها إلى مفعولين، و (فراشاً) معناها: تفترشونها وتستقرون عليها... " ^(٢). وقال أبو حيَّان: " وجعل: بمعنى صَيَّرَ، لذلك نصبتُ الأرضَ. وفراشاً، ولكم متعلق بجعل، وأجاز بعضهم أن ينتصبَ فراشاً وبناءً على الحال، على أن يكونَ جعل بمعنى خلق، فيتعدى إلى واحدٍ، وغازير اللفظ كما غاير في قوله: [وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ] {الأنعام: ١}، ولأنه قصد إلى ذكر جملتين، فغاير بين اللفظين لأن التكرار ليس في الفصاحة، كاختلاف اللفظ والمدلول واحد... " ^(٣).

ونذكر السَّمينُ الحلبيُّ — (جعلَ) في هذه الآية وجهين، حيثُ قال: " و "جَعَلَ" فيها وجهان، أحدهما: أن تكونَ بمعنى صَيَّرَ فتتعدَّى لمفعولين فيكونُ "الأرضُ" مفعولاً لأوّل، و " فراشاً " مفعولاً ثانياً. الثاني: أن تكونَ بمعنى "خَلَقَ" فتتعدَّى لواحد وهو "الأرضُ" ويكونُ "فراشاً" حالاً.

" وَالسَّمَاءَ بِنَاءً " عطف على " الأرض فراشاً " على التقديرين المتقدمين، و "لكم" متعلِّقٌ بالجعلِ أي لأجلكم. " ^(٤). وقد اتَّفَقَ معه ابنُ عادل وذكر ما قاله السَّمينُ نصّاً، وزاد

(١) إعراب القرآن: ١ - ٢٨.

(٢) المحرر الوجيز: ١ - ٩٢.

(٣) البحر المحيط: ١ - ٢٨٧.

(٤) الدّر المصون: ١ - ١٤٢.

عليه قوله: " وجعلَ فيها وجهان... ونظيره قوله: [أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا] {النمل: ٦١} " ^(١).

وقال الألوسي: " وجعلَ بمعنى (صَيَّر) والمنصوبان بعده مفعولان، وقيل: بمعنى (أوجد)، وانتصابُ الثاني على الحالية أي: أوجدَ الأرضَ حالةَ كونها مُفترشة لكم فلا تحتاجون للسَّعي في جعلها كذلك. ومعنى تصييرها فراشا أي كالفراش في صحة القعود والنوم عليها أنه سبحانه جعل بعضها بارزا عن الماء مع أن مقتضى طبعها أن يكون الماء بأعلاها لثقلها وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين ليتيسر التمكن عليها بلا مزيد كلفة فالتصيير باعتبار أنه لما كانت قابلة لما عدا ذلك فكأنه نقلت منه، وإن صحَّ ما نقل عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أنَّ الأرضَ خُلِقَتْ قبل خلق السَّماء غير مدحوة فحدث بعد خلقها ومدت فأمرُ التصيير حينئذ ظاهر، إلا أنَّ كلَّ النَّاسِ غيرُ عالمين به، والصِّفة يجبُ أن تكونَ معلومةً للمخاطب والذهاب إلى الطوفان واعتبار التصيير بالقياس إليه من اضطراب أمواج الجهل ولا ينافي كرويتها كونها فراشا لأن الكرة إذا عظمت كان كل قطعة منها كالسطح في افتراشه كما لا يخفى وعبر سبحانه هنا بجعل وفيما تقدم بخلق لاختلاف المقام أو تفننا في التعبير كما في قوله تعالى: (خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) " ^(٢). واكتفى الرَّمْخَشَرِيُّ بتفسير معنى: الفراش، والبساط، والمهاد، حيث قال: " ومعنى جعلها فراشاً وبساطاً ومهاداً للنَّاسِ أَنَّهُمْ يَقْعُدُونَ عَلَيْهَا وَيَنَامُونَ وَيَتَقَلَّبُونَ كَمَا يَتَقَلَّبُ أَحَدُهُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَمَهَادِهِ. " ^(٣). وقال العُكْبَرِيُّ: " وجعلَ هُنَا مُتَعَدِّ إلى مفعولٍ واحدٍ وهو الأرضُ. وفراشاً حالً، ومثله: والسَّماءُ بناءً، ويجوزُ أن

(١) اللباب في علوم الكتاب: ١ - ٤١٦.

(٢) روح المعاني: ١ - ١٨٧.

(٣) الكشاف: ١ - ١٢٥.

يَكُونُ جَعَلَ بِمَعْنَى صَيَّرَ فَيَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ وَهُمَا الْأَرْضُ وَفَرَاشاً، وَمِثْلُهُ: وَالسَّمَاءَ بِنَاءً. وَلَكُمْ مُتَعَلِّقٌ بِجَعَلَ، أَي: لِأَجْلِكُمْ. " (١).

وذهب لشيخ محيي الدين الدرويش إلى أنها بمعنى (صَيَّرَ) ويجوز أن تكون بمعنى (خلق)، حيث قال: " جَعَلَ فَعْلٌ ماضٍ، والفاعلُ ضميرٌ مُستترٌ فيه تقديرُهُ هو، والجُمْلَةُ الفعليَّةُ لا محلَّ لها من الإعرابِ لأنَّها صلةُ الموصولِ (لكم) الجارُّ والمجرورُ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ حَالٌ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي الْأَصْلِ صَفَةً لِفَرَاشٍ ثُمَّ تَقَدَّمَتِ (الأرض) مفعول جَعَلَ الْأَوَّلِ إِنْ كَانَتْ مِنَ الْجَعْلِ بِمَعْنَى التَّغْيِيرِ (فَرَاشاً) مفعولٌ بِهِ ثَانٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْجَعْلِ بِمَعْنَى الْخَلْقِ فَتَكُونُ فَرَاشاً حَالاً مُؤَوَّلَةً. " (٢)

رأي الباحث: من العرض السابق يتضح لنا أن جعلَ في هذه الآية بمعنى (صَيَّرَ) وهو ما ذهب إليه جمهور العلماء. ويجوز أن تكون بمعنى (خلق، أو أوجد) وهو ما ذهب إليه القليل من العلماء. وأنا أتفق مع جمهور العلماء.

* النَّمُودَجُ الثَّانِي:

قوله تعالى: [فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ] {البقرة: ٦٦}

(١) التَّيْبَانِ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآن: ٢٤.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه: للشيخ محيي الدين الدرويش المتوفى ١٤٠٢ هـ: ١ - ٦٤، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، حلبوني، ودار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، برامكة، الطبعة السابعة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

دارت أقوال النُّحاة والمفسِّرين ومعربي القرآن حول (هَآ) من قوله تعالى (فَجَعَلْنَاهَا) واختلفوا في ذلك كلِّ حسب تأويله، أمَّا (جعل) في هذه الآية فهي بمعنى (صَيَّر) والدَّلِيلُ على ذلك ما يلي:

حيثُ قال النَّحَّاسُ: " [فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا...] مفعولٌ ثانٍ... " ^(١). وقال السَّمينُ الحلبيُّ: " قوله تعالى: {نَكَالًا}: مفعولٌ ثانٍ لَجَعَلَ التي بمعنى صَيَّرَ والأوَّلُ هو الضَّميرُ وفيه أقوالٌ..... " ^(٢).

وقال الشَّيْخُ الدَّرَوِيشُ: " (فَجَعَلْنَاهَا) الجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ (نَكَالًا) مفعول جعلنا الثَّانِي، وإِنَّمَا أَتَى الضَّميرُ في جَعَلْنَاهَا لِأَنَّهُ يَعُودُ عَلَى الْمُسَخَّةِ الْمَفْهُومَةِ مِنْ مَطَاوِي الْكَلَامِ. " ^(٣) رأي الباحث: اتَّفَقَ مع جمهور العلماء فيما ذهبوا إليه من أَنَّ (جعل) في هذه الآية بمعنى (صَيَّر).

* النَّمُودَجُ الثَّالِثُ:

قوله تعالى: [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ] {البقرة: ١٤٣}

الأغلبية من العلماء ذهبوا إلى أَنَّ معنى (جعل) في هذه الآية بمعنى (صَيَّر) في الموضوعين، وهو ما اتَّضَحَ عند ابن عطية والعكبري وأبي حيَّان والسَّمين الحلبي وابن عادل،

(١) إعراب القرآن: ١ - ٢٣٤.

(٢) الدر المصون: ١ - ٣١٢.

(٣) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ١ - ١١٧، ١١٨.

بينما ذهبَ الفخر الرَّازِيُّ إلى أَنَّ (جعل) الثَّانِيَةَ بمعنى (ما شرعنا وما حكمنا)، وهذه بعضُ أقوالهم في هذا الشَّانِ:

حيثُ قَالَ الطَّبْرِيُّ: " يعني جل ثناؤه بقوله: "وكذلك جَعَلْنَاكُمْ أمةً وسطاً"، كما هديناكم أيُّهَا المؤمنون بمحمد عليه والسلام وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لِقِبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمةً وسطاً.... القول في تأويل قوله تعالى: { وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ }

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: "وما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا"، ولم نجعل صَرْفَكَ عَنِ الْقِبْلَةِ الَّتِي كُنْتَ عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَيْهَا يَا مُحَمَّدَ فَصَرْفُكَ عَنْهَا، إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُكَ مِمَّنْ لَا يَتَّبِعُكَ، مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ.

والقِبْلَةُ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا، الَّتِي عَنَّاهَا اللَّهُ بِقَوْلِهِ: "وما جعلنا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا"، هِيَ الْقِبْلَةُ الَّتِي كُنْتَ تَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يَصْرِفَكَ إِلَى الْكَعْبَةِ... عن السَّيِّدِي: "وما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا"، يعني: بيت المقدس... قال أبو جعفر: وإنما ترك ذكر "الصرف عنها"، اكتفاءً بدلالة ما قد ذكر من الكلام على معناه، كسائر ما قد ذكرنا فيما مضى من نظائره.....^(١)

وقال ابنُ عطية: " وقال بعض من ذكر الْقِبْلَةَ ببيت المقدس والمعنى وما جعلنا صرف الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا وتحويلها فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وقال ابن عباس

^(١) جامع البيان: ٣ - ١٤١، ١٥٥، ١٥٦.

القبلة في الآية الكعبة وكنت بمعنى أنت كقوله تعالى {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: ١١٠]، بمعنى أنتم أي وما جعلناها وصرفناك إليها إلا فتنه... " (١).

وقال الفخر الرَّايزي: " اعلم أن قوله: {وَمَا جَعَلْنَا} معناه: ما شرعنا وما حكمنا، كقوله: [مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ] {المائدة: ١٠٣}، أي: ما شرعها ولا جعلها ديناً، وقوله: {كُنْتَ عَلَيْهَا} أي كنت معتقداً لاستقبالها، كقول القائل: كان لفلان على فلان دين، وقوله: {كُنْتَ عَلَيْهَا} ليس بصفة للقبلة، إنما هو ثاني مفعولي جعل يريد: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ} الجهة التي كنت عليها. ثم ههنا وجهان. الأول: أن يكون هذا الكلام بياناً للحكمة في جعل القبلة، وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي بمكة إلى الكعبة ثم أمر بالصلاة إلى بيت المقدس بعد الهجرة تأليفاً لليهود، ثم حول إلى الكعبة فنقول: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ} الجهة: {الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا} أولاً: يعني وما رددناك إليها إلا امتحاناً للناس وابتلاء. الثاني: يجوز أن يكون قوله: {الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا} لساناً للحكمة في جعل بيت المقدس قبله يعني إن أصل أمرك أن تسقبل الكعبة وأن استقبلك بيت المقدس كان أمراً عارضاً لغرض وإنما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا، وهي بيت المقدس، لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول ومن لا يتبعه وينفر عنه. وههنا وجه ثالث ذكره أبو مسلم فقال: لولا الروايات لم تدل الآية على قبله من قبل الرسول عليه الصلاة والسلام عليها، لأنه قد يقال: كنت بمعنى صرت كقوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: ١١٠]: وقد يقال: كان في معنى لم يزل كقوله تعالى: [إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا] {النساء: ١٥٨} فلا يمتنع أن يراد بقوله: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا} أي التي لم تزل عليها وهي الكعبة إلا كذا وكذا. " (٢).

(١) المحرر الوجيز: ١ - ٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) مفاتيح الغيب: ١ - ٦٣٦.

وفي توجيهه لهذه الآية قال العُكبري: " قوله تعالى (وَكَذَلِكَ) الكاف في موضع نصبٍ صفة لمصدرٍ محذوفٍ تقديره: ومثلٌ هدايتنا مَنْ نشاء (جَعَلْنَاكُمْ) وجعلنا بمنزلة صَيْرْنَا، و (على النَّاسِ) يتعلّق بشهداء (القبلة) هي المفعولُ الأوّل والمفعولُ الثّاني محذوفٌ، و (التي) صفة لمحذوفٍ، والتّقدير: وما جعلنا القبلة القبلة التي ؛ وقيل التي صفة للقبلة المذكورة، والمفعولُ الثّاني محذوفٌ تقديره: وما جعلنا القبلة التي كُنْتَ عليها قبلة... " (١).

في حين يرى أبو حيّان أنّ (جعلناكم) بمعنى (هديناكم)، حيث قال: " الكاف للتّشبيه، وذلك: اسمُ إشارة، والكاف في موضع نصب، إما لكونه نعتاً لمصدر محذوف، وإما لكونه حالاً. والمعنى: وجعلناكم أمة وسطاً جعلاً مثل ذلك، والإشارة بذلك ليس إلى ملفوظ به متقدم، إذ لم يتقدم في الجملة السابقة اسم يشار إليه بذلك، لكن تقدم لفظ يهدي، وهو دال على المصدر، وهو الهدى، وتبين أن معنى (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ): يجعله على صراط مستقيم، كما قال تعالى: (مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). قابل تعالى الضلال بالجعل على الصراط المستقيم، إذ ذلك الجعل هو الهداية، فكذلك معنى الهدى هنا هو ذلك الجعل. وتبين أيضاً من قوله: (قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) إلى آخره، أن الله جعل قبلتهم خيراً من قبله اليهود والنصارى، أو وسطاً. فعلى هذه التقادير اختلفت الأقاويل في المشار إليه بذلك. فقيل: المعنى أنه شبه جعلهم أمة وسطاً بهدأيته إياهم إلى الصراط المستقيم، أي أنعمنا عليكم بجعلكم أمة وسطاً، مثل ما سبق إنعامنا عليكم بالهداية إلى الصراط المستقيم، فتكون الإشارة بذلك إلى المصدر الدال عليه يهدي، أي جعلناكم أمة خياراً مثل ما هديناكم باتباع محمد (صلى الله عليه وسلم))، وما جاء به من الحق. وقيل: المعنى أنه شبه جعلهم أمة وسطاً بجعلهم على الصراط المستقيم، أي جعلناكم أمة وسطاً مثل ذلك

(١) التّبيان: ٦٧.

الجعل الغريب الذي فيه اختصاصكم بالهداية، لأنه قال: (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)، فلا تقع الهداية إلا لمن شاء الله تعالى. وقيل: المعنى كما جعلنا قبلكم خير القبل، جعلناكم خير الأمم. وقيل: المعنى كما جعلنا قبلكم متوسطة بين المشرق والمغرب، جعلناكم أمة وسطاً. وقيل: المعنى كما جعلنا الكعبة وسط الأرض، كذلك جعلناكم أمة وسطاً، دون الأنبياء، وفوق الأمم، وأبعد من ذهب إلى أن ذلك إشارة إلى قوله تعالى: (وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا) أي مثل ذلك الاصطفاء جعلناكم أمة وسطاً.

... (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقَبَيْهِ): جعل هنا: بمعنى صير، فيتعدى لمفعولين: أحدهما القبلة، والآخر (الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا). والمعنى: وما صيرنا قبلك الآن الجهة التي كنت أولاً عليها إلا لنعلم، أي ما صيرنا متوجهك الآن في الصلاة المتوجه أولاً، لأنه كان يصلي أولاً إلى الكعبة، ثم صلى إلى بيت المقدس، ثم صار يصلي إلى الكعبة. وتكون القبلة: هو المفعول الثاني، والتي كنت عليها: هو المفعول الأول، إذ التصيير هو الانتقال من حال إلى حال. فالمتلبس بالحالة الأولى هو المفعول الأول، والمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني. ألا ترى أنك تقول: جعلت الطين خزفاً، وجعلت الجاهل عالماً؟ والمعنى هنا على هذا التقدير: وما جعلنا الكعبة التي كانت قبلة لك أولاً، ثم صرفت عنها إلى بيت المقدس، قبلك الآن إلا لنعلم.

- وقد ردَّ أبو حيَّان على الزَّمَخْشَرِيِّ إذ قال: ووهم الزَّمَخْشَرِيُّ فِي ذَلِكَ، فزعم أن التي كنت عليها: هو المفعول الثاني لجعل، قال: التي كنت عليها ليس بصفة للقبلة، إنما هي ثاني مفعولي جعل. تريد: وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها، وهي الكعبة، لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)) كان يصلي بمكة إلى الكعبة، ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة، تألفاً لليهود، ثم حوّل إلى الكعبة، فيقول: وما جعلنا القبلة التي يجب أن

تستقبلها الجهة التي كنت عليها أولاً بمكة، يعني: وما رددناك إليها إلا امتحاناً للناس وابتلاءً، انتهى ما ذكره.

وقد أوضحنا أن التي كنت عليها: هو المفعول الأول. وقيل: هذا بيان لحكمة جعل بيت المقدس قبلة. والمعنى: وما جعلنا متوجهك بيت المقدس إلا لنعلم، فيكون ذلك على معنى: أن استقبالك بيت المقدس هو أمر عارض، ل يتميز به الثابت على دينه من المرتد. وكل واحد من الكعبة وبيت المقدس صالح بأن يوصف بقوله: التي كنت عليها، لأنه قد كان متوجهاً إليهما في وقتين. وقيل: التي كنت عليها صفة للقبلة، وعلى هذا التقدير اختلفوا في المفعول الثاني، فقيل: تقديره: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها قبلة إلا لنعلم. وقيل: التقدير: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة إلا لنعلم. وقيل: ذلك على حذف مضاف، أي وما جعلنا صرف القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم، ويكون المفعول الثاني على هذا قوله: لنعلم، كما تقول: ضرب زيد للتأديب، أي كائن وموجود للتأديب، أي بسبب التأديب. وعلى كون التي صفة، يحتمل أن يراد بالقبلة: الكعبة، ويحتمل أن يراد بيت المقدس، إذ كل منهما متصف بأنه كان عليه..... " (١)

وقال الشيخ الدرويش: (٢) " (وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً... (جعلناكم) فعل وفاعل ومفعول به أول لجعلنا (أمةً) مفعول جعلنا الثاني. (وسطاً) صفة لأمة... (جعلنا) فعل وفاعل (القبلة) مفعول جعلنا الأول (التي) اسم موصول في محل نصب مفعول جعلنا الثاني... فقد أورد العلماء خمسة أعاريب لهذه الآية يضيق المجال عن إيرادها، وقد أوردنا ما اخترناه منها واختاره الرّمخشري، واختار الجلال أن تكون (القبلة) المفعول الثاني مُقَدِّماً و (التي كُنْتَ

(١) البحر المحيط: ١ - ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ١ - ١٨٦، ١٨٧.

عليها) هو المفعول الأول، مُحْتَجًّا بِأَنَّ النَّصِيِيرَ هو الانتقال من حالٍ إلى حالٍ، فالمُلتَبِسُ بالحالةِ الثَّانِيَةِ هو المفعول الثاني، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: جَعَلْتُ الطَّيْنَ خَزْفًا. واختاره أبو حَيَّان. وقيل " القبله " هي المفعول الأول و (الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا) صفة، أمَّا المفعول الثاني فهو محذوفٌ تقديره منسوخاً أو نحوه...

فقد انفق الجميع على أن النبي ﷺ صلى إلى صحره بيت المقدس بعد الهجرة مدة، ثم أمر بالصلاة إلى الكعبة، وإنما اختلفوا في قبلته بمكة هل كانت الكعبة أو بيت المقدس، والمروني عن أئمة أهل البيت أنها كانت بيت المقدس، ثم لا يخفى أن الجعل في الآية مركب لا بسيط، وقوله تعالى: ﴿الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا﴾ ثاني مفعوليه كما نص عليه أكثر المفسرين، وأما القائلون بأنه ﷺ كان يصلي بمكة إلى الكعبة، فالجعل عندهم يحتمل أن يكون منسوخاً باعتبار الصلاة بالمدينة مدة إلى بيت المقدس، وأن يكون جعلاً ناسخاً باعتبار الصلاة بمكة، وقال الرازي: إن قوله تعالى ﴿الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا﴾ ليس نعتاً للقبله وإنما هو ثاني مفعولي جعلنا، هذا وسميت الكعبة كعبة لتربيعتها، وسيأتي مزيد بحث بذلك.

رأي الباحث: اتَّفَقَ مع الشَّيْخِ الدَّرَوِيْشِ فيما ذهب إليه.

* (٢) سورة النساء :

النَّمُودَجُ الْأَوَّلُ:

قوله تعالى: [وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا] {النساء: ٥}

ذهب العلماء إلى أَنَّ (جعل) في هذه الآية بمعنيين: أحدهما: معنى صَيَّرَ، والثاني: بمعنى: خلق وأوجد. وهذه بعض أقوالهم في هذا الشأن:

قَالَ الرَّجَاجُ: " ومن ذلك قوله (ولا تَوْتُوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً) أي: جعلها الله لكم قياماً، أي ذا قوم معاشكم ومعاش سفهائكم فعلى هذا (جعل) بمعنى (صَيَّرَ)، فحذف المفعول الأول، وهو الهاء، والمفعول الثاني المصدر الذي هو بمعنى القوام وقيل: يعني الأموال التي جعلتم قواماً عليها وحفظتها لها على السفهاء فعلى هذا قياماً جمع قائم، وهو في معنى الحال، والمفعول مضمّر، أي جعلها لكم قياماً على هذا، أي لسفهاءكم، كما أن أموالكم في أحد التأويلين أموال سفهائكم، فحذف، والذكر إلى الموصول كان مجروراً بعلى، فحذف كما حذف كالذي كانوا عليه، أي جعلكم الله قواماً لسفهاءكم قياماً عليها... " (١). وذهب العُكْبَرِيُّ إلى أَنَّ (جعل) بمعنى (صَيَّرَ)، وَجَوَّزَ أَنْ تَكُونَ بمعنى (خَلَقَ)، حيثُ قال: " (جعل) الله) أي: صَيَّرَهَا فهو مُتَعَدٍّ إلى مفعولينِ والأوّلُ محذوفٌ وهو العائدُ، ويجوزُ أَنْ يَكُونَ بمعنى (خلق) فيكونُ (قياماً) حالاً... " (٢). وأكَّدَ السَّمِينُ الحَلَبِيُّ ما ذكره العُكْبَرِيُّ، إذ قال: " لـ (جعل) معنيين (صَيَّرَ، وخلق)، حيثُ قال: " قوله: "قياماً" إِنَّ قَلْنَا إِنَّ "جَعَلَ" بمعنى صَيَّرَ فـ"قياماً" مفعول ثانٍ، والأوّلُ محذوفٌ وهو عائد الموصول، والتقدير:

"التي جعلها" أي: صَيَّرَهَا لكم قياماً. وإن قَلْنَا إِنَّهَا بمعنى "خَلَقَ" فـ"قياماً" حال من ذلك العائدِ المحذوفِ، التقديرُ: جَعَلَهَا أي: خلقها وأوجدتها في حالِ كونها قياماً. " (٣).

ووجهُ الألوْسِيّ الآيةَ بقوله: " (التي جعل الله لكم قياماً) حيثُ عبر عن جعلها مناطاً لمعاش أصحابها بجعلها مناطاً لمعاش الأولياء، ومفعول جعل الأول محذوف وهو ضمير

(١) إعراب القرآن: ١ - ١٠٤.

(٢) التَّيْبَان: ١٦٧.

(٣) الدُّر المصون: ١ - ١٦١٧.

الأموال، والمراد من القيام ما به القيام والتعيش والتعبير بذلك زيادة في المبالغة وهو المفعول الثاني لجعل، وقد جوز أن يكون المحذوف وحده مفعولا وهذا حالا منه... " (١).

و (جعل) عند الشَّيْخِ الدَّرَوِيْشِ بِمَعْنِيَيْنِ أَيْضَا (صَيَّرَ، أَوْ خَلَقَ)، حَيْثُ قَالَ: " وَ (قِيَامًا) مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ لَجَعَلَ الَّتِي بِمَعْنَى (صَيَّرَ)، وَالْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ مُحذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: الَّتِي صَيَّرَهَا لَكُمْ قِيَامًا، وَ (لَكُمْ) جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِـ (قِيَامًا)، وَإِنْ كَانَتْ (جَعَلَ) بِمَعْنَى (خَلَقَ) فَـ (قِيَامًا) حَالٌّ مِنَ الْعَائِدِ الْمُحذُوفِ، أَيْ: جَعَلَهَا فِي حَالٍ كَوْنَهَا قِيَامًا. " (٢)

رَأَى الْبَاحِثُ: أَنْتَقُ مَعَ الْجُمْهُورِ فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ (جَعَلَ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمَعْنَى (صَيَّرَ، أَوْ خَلَقَ وَأَوْجَدَ).

* النَّمُودَجُ الثَّانِي:

قوله تعالى: [فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا] {النساء: ٩٠}

ذهب العلماء إلى أَنَّ (جَعَلَ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمَعْنَى (أَذِنَ)، وَهَذِهِ بَعْضُ أَقْوَالِهِمْ فِي هَذَا الشَّأْنِ: قَالَ الرَّجَاجُ: " (فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا) فَمَا أَذِنَ لَكُمْ فِي أَخْذِهِمْ وَقَتْلِهِمْ، وَفِي نَفْيِ جَعَلَ السَّبِيلَ مَبَالِغَةً فِي عَدَمِ التَّعَرُّضِ لَهُمْ لِأَنَّ مَنْ لَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ كَيْفَ يَتَعَرَّضُ لَهُ: " (٣).

(١) روح المعاني: ٤ - ٢١٠.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ١ - ٦١٦.

(٣) إعراب القرآن: ٥ - ١١١.

ونفس الأمر صنعه الرّمخشري^(١)، والفخر الرّازي أيضاً^(٢). وكذا فعل الألوسي^(٣).

وقال العُكبري: "لكم يتعلّق بجعل، وعليهم حالّ من السّبيل لأنّ التّقدير: سبيلاً كائناً عليهم".^(٤) وقال السّمين الحلبي: "قوله: {لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا} "لكم" متعلق بـ "جَعَلَ" و"سبيلاً" مفعول "جَعَلَ" و"عليهم حالّ من "سبيلاً" لأنه في الأصل صفةُ نكرةٍ قُدِّمَ عليها، ويجوز أن تكون "جعل" بمعنى "صَيَّرَ" فيكون "سبيلاً" مفعولاً أوّلاً، و"عليهم" مفعولٌ ثانٍ قُدِّمَ".^(٥)

وقال الشّيخ الدّرويش: "وجعل فعلٌ ماضٍ ينصبُ مفعولين، والله فاعلٌ، ولكم جارٌّ ومجرورٌ متعلّقانِ بمحذوفٍ مفعولٌ بهٍ أوّل، وعليهم جارٌّ ومجرورٌ متعلّقانِ بمحذوفٍ حالّ، وسبيلاً مفعولٌ بهٍ ثانٍ".^(٦)

رأي الباحث: ممّا سبق يتّضح لنا اتفاقُ العلماء في أن (جعل) بمعنى (أذِنَ) ويجوزُ أن تكونَ بمعنى (صَيَّرَ).

(١) الكشّاف: ١ - ٥٧٩.

(٢) مفاتيح الغيب: ١ - ١٥٢٣.

(٣) روح المعاني: ٥ - ١١١.

(٤) التّبيان: ١٩٠.

(٥) الدّر المصون: ١ - ١٧٩٧.

(٦) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٢ - ٨٢.

* (٣) سورة المائدة:

- النَّمُودَجُ الْأَوَّلُ:

[وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ] {المائدة: ٢٠}

رأى جمهور العلماء أن (جعل) الأولى بمعنى (أرسل أو بعث أو أوجد)، وأن (جعل) الثانية بمعنى (صير) ^(١)، وهذه بعض أقوالهم في هذا الشأن:

حيث قال الفراء: " وقوله (إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ...) يعني السَّبعين الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ موسى ليذهبوا معه إلى الجبل، سمَّاهم أنبياء لهذا. (وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا) يقول: أحد في بيته ملك، لا يُدْخِلُ عَلَيْهِ إِلَّا بَإِذْنِهِ. (وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ) ظَلَّكُمْ بِالْغَمَامِ الْأَبْيَضِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى. " ^(٢). وقال الطبري: "... { إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا } يعني بذلك جل ثناؤه: أَنَّ موسى ذَكَرَ قَوْمَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَيَّامِ اللَّهِ عِنْدَهُمْ، وَبِآلَائِهِ قَبْلَهُمْ، مُحَرِّضُهُمْ بِذَلِكَ عَلَى اتِّبَاعِ أَمْرِ اللَّهِ فِي قِتَالِ الْجَبَّارِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَنَّ فَضْلَكُمْ، بَأَن جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ يَأْتُونَكُمْ بِوَحْيِهِ، وَيُخْبِرُونَكُمْ بِأَنْبَاءِ الْغَيْبِ، وَلَمْ يُعْطِ ذَلِكَ غَيْرَكُمْ فِي زَمَانِكُمْ هَذَا. فَقِيلَ: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ موسى أَنَّهُمْ جُعِلُوا فِيهِمْ: هُمُ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ موسى إِذْ صَارَ إِلَى الْجَبَلِ، وَهُمْ السَّبْعُونَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فَقَالَ: [وَاخْتَارَ موسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ

^(١) ينظر في هذا الشأن: معاني القرآن للفراء: ١ - ٣٠٣، جامع البيان للطبري: ١٠ - ١٦٠، إعراب القرآن للنحاس: ١ - ١٣، الكشف: ١ - ٦٥٣، ٦٥٤، والمحرر الوجيز: ٢ - ٢٠١، ٢٠٢، وزاد المسير: ٢ - ٣٢١، ٣٢٢، ومفاتيح الغيب: ١ - ١٦٣٨، والبحر المحيط: ٢ - ٤٦٧، ٤٦٨، واللباب: ٧ - ٢٦٧، وروح المعاني: ٦ - ١٠٥.

^(٢) معاني القرآن: ١ - ٣٠٣.

رَجُلًا [الأعراف: ١٥٥] "وجعلكم ملوكًا" سخر لكم من غيركم خدمًا يخدمونكم. ^(١) وقال
الفخر الرّازي: " وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: أنه تعالى منّ عليهم بأمور ثلاثة: أولها: قوله {إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ} لأنه لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء، فمنهم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه فانطلقوا معه إلى الجبل، وأيضاً كانوا من أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وهؤلاء الثلاثة بالاتفاق كانوا من أكابر الأنبياء، وأولاد يعقوب أيضاً كانوا على قول الأكثرين أنبياء، والله تعالى أعلم موسى أنه لا يبعث الأنبياء إلا من ولد يعقوب ومن ولد إسماعيل، فهذا الشرف حصل بمن مضى من الأنبياء، وبالذين كانوا حاضرين مع موسى، وبالذين أخبر الله موسى أنه سيبعثهم من ولد يعقوب وإسماعيل بعد ذلك، ولا شك أنه شرف عظيم، وثانيها: قوله {وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا} وفيه وجوه: أحدها: قال السدي: يعني وجعلكم أحراراً تملكون أنفسكم بعد ما كنتم في أيدي القبط بمنزلة أهل الجزية فينا، ولا يغلبكم على أنفسكم غالب، وثانيها: أن كل من كان رسولاً ونبياً كان ملكاً لأنه يملك أمر أمته ويملك التصرف فيهم، وكان نافذ الحكم عليهم فكان ملكاً، ولهذا قال تعالى: {فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا} (النساء: ٥٤) وثالثها: أنه كان في أسلافهم وأخلافهم ملوك وعظماء، وقد يقال فيمن حصل فيهم ملوك: أنتم ملوك على سبيل الاستعارة، ورابعها: أن كل من كان مستقلاً بأمر نفسه ومعيشتة ولم يكن محتاجاً في مصالحه إلى أحد فهو ملك. قال الزجاج: الملك من لا يدخل عليه أحد إلا بإذنه. وقال الضحاك: كانت منازلهم واسعة وفيها مياه جارية، وكانت لهم أموال كثيرة وخدم يقومون بأمرهم، ومن كان كذلك كان ملكاً.

(١) جامع البيان: ١٠ - ١٦٠.

والنوع الثالث: من النعم التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية قوله {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَنَّهُ قَتَلَكُمْ فَأَنْزَلَ بِكُمُ الْفَلَاحَ} وذلك لأنه تعالى خصهم بأنواع عظيمة من الإكرام: أحدها: أنه تعالى فلق البحر لهم، وثانيها: أنه أهلك عدوهم وأورثهم أموالهم، وثالثها: أنه أنزل عليهم المن والسلوى، ورابعها: أنه أخرج لهم المياه العذبة من الحجر، وخامسها: أنه تعالى أظلل فوقهم الغمام، وسادسها: أنه لم يجتمع لقوم الملك والنبوة كما جمع لهم، وسابعها: أنهم في تلك الأيام كانوا هم العلماء بالله وهم أحبب إلى الله وأنصار دينه. (١)

وقال الشيخ الدرويش: " إذ ظرف لما مضى مُتَعَلِّقٌ بِالنِّعْمَةِ، وجملة جعل في محل جرٍ بالإضافة، وفيكم مُتَعَلِّقَانِ بِجَعَلَ على أَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ أَوَّلُ لَجَعَلَ، وأنبياء مفعوله الثاني، وجعلكم ملوكاً عطفٌ على ما تقدّم، وملوكاً مفعولٌ بِهِ ثانٍ. " (٢)

رأي الباحث: يتفق الباحث مع جمهور العلماء فيما ذهبوا إليه من أن (جعل) الأولي بمعنى (أرسل، أو بعث، أو أوجد) و(جعل) الثانية بمعنى (صير).

* النَّمُودَجُ الثَّانِي:

{قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} {المائدة: ٦٠}

ذهب كلٌّ من ابن عطية وأبي حيّان الأندلسي والسّمين الحلبيّ وابن عادل والألوسي إلى أن جعل في هذه الآية بمعنى (صير) وذهب أبو علي الفارسي إلى أنها بمعنى (خلق) واعترض عليه عدد من العلماء، وهذه بعض أقوالهم في هذا الشأن:

(١) مفاتيح الغيب: ١ - ١٦٣٨.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٢ - ٢٠٢.

حيث قال ابن عطية: " جعل بمعنى (صَيَّر) وقال أبو علي الفارسي في كتاب " الحجة " هي بمعنى (خلق) قال القاضي أبو محمد وهذه منه رحمه الله نزعة اعتزالية لأن قوله " وعبد الطاغوت " تقديره ومن عبد الطاغوت والمعتزلة لا ترى أن الله يصير أحدا عابد الطاغوت وقد تقدم قصص مسخهم قرده في سورة البقرة وأما مسخهم خنازير فروي أن ذلك بسبب امرأة كانت مؤمنة من بني إسرائيل وكفر ملك منهم في مدينة من مدنها وكفر معه أهل مملكته فدعت المرأة قوما إلى نصرة الدين فأجابوها فخرجت بهم فهزموا ثم فعلت ذلك ثانية وثالثة في كل مرة يهزم جمعها فيئست وباتت مهمومة فلما أصبح رأت أهل تلك المدينة ينفقون في نواحيها خنازير فقالت الآن أعلم أن الله أعز دينه وآثر دينه قال عمرو بن كثير بن أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري ما كان مسخ بني إسرائيل إلا على يدي تلك المرأة وقوله تعالى " وعبد الطاغوت " تقديره ومن عبد الطاغوت وذلك عطف على قوله " من لعنه الله " أو معمول لـ " جعل " وفي هذا يقول أبو علي إن " جعل " بمعنى خلق... " (١)

وقال أبو حيَّان: " وجعل هنا بمعنى صير. وقال الفارسي: بمعنى خلق، لأن بعده: وعبد الطاغوت، وهو معتزلي لا يرى أن الله يصير أحداً عابداً طاغوت. " (٢)

وقال السمين الحلبي: " و"جَعَلَ" هنا بمعنى "صَيَّر" فيكون "منهم" في محل نصب مفعولاً ثانياً، فُذِمَ على الأول فيتعلق بمحذوف أي صَيَّر القردة والخنازير كائنين منهم، وجعلها الفارسي في كتاب "الحجة" له بمعنى خلق. قال ابن عطية "وهذه منه - رحمه الله - نزعة اعتزالية لأنه قوله: {وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} تقديره: وَمَنْ عبد الطاغوت" والمعتزلة لا ترى أن الله تعالى

(١) المحرر الوجيز: ٢ - ٢٤٦.

(٢) البحر المحيط: ٣ - ٥٢٩.

يَصِيرُ أَحَدًا عَبْدًا طَاغُوتٌ" انتهى. والذي يُقَرَّرُ منه في التصيير هو بعينه موجودٌ في الخلق، وللبحث فيه موضع غير هذا تعرضت له في التفسير الكبير. ^(١)

وقال الشَّيْخُ الدَّرَوِيْشُ: " الواوُ عاطِفَةٌ، (وجعل) عطَفَ على (لعه الله)، و (منهم) مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفٍ مَفْعُولٌ بِهِ أَوَّلٌ، و (القردة) هو المفعولُ الثَّانِي، و (الخنازير) عطَفَ على القردة، و (عبد) فعل ماضٍ، وهو عطَفَ على صِلَةٍ (ما)، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَمَنْ عَبْدٌ الطَّاغُوتِ، حَذَفَ الْمَوْصُولُ وَأَقِيْمَتِ الصِّفَةُ مَقَامَهُ. " ^(٢)

رأى الباحث: مَا سَبَقَ يَتَضَحُّ لَنَا أَنَّ جَعَلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمَعْنَى صَيَّرَ وَهُوَ رَأْيُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ.

* النَّمُودَجُ الثَّالِثُ:

قوله تعالى: [جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ] {المائدة: ٩٧}

تَعَدَّدَتْ آرَاءُ الْعُلَمَاءِ حَوْلَ مَعْنَى (جَعَلَ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّهَا بِمَعْنَى (صَيَّرَ) وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا بِمَعْنَى (بَيَّنَّ وَحَكَمَ) وَبَعْضُهُمْ بِمَعْنَى (خَلَقَ) وَهَذِهِ أَقْوَالُهُمْ فِي هَذَا الشَّأْنِ:

حَيْثُ قَالَ الطَّبْرِيُّ: " يَعْنِي تَعَالَى ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ: "ذَلِكَ"، تَصْيِيرَهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقِلَادَةَ. يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: صَيَّرْتُ لَكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ، ذَلِكَ قِيَامًا، كَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ مِنْ أَحَدَثٍ لَكُمْ لِمَصَالِحِ دُنْيَاكُمْ مَا أَحْدَثَ، مِمَّا بِهِ قَوَامُكُمْ، عَلَمًا مِنْهُ بِمَنَافِعِكُمْ وَمُضَارِكُمْ، أَنَّهُ كَذَلِكَ يَعْلَمُ جَمِيعُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِمَّا فِيهِ صَلَاحٌ عَاجِلِكُمْ

(١) الدَّر الْمَصُون: ١ - ٢٠٧٨.

(٢) إِعْرَابُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَيَانُهُ: ٢ - ٢٥٨.

وآجلكم، ولتعلموا أنه بكل شيء "عليم"، لا يخفى عليه شيء من أموركم وأعمالكم، وهو محصياها عليكم، حتى يجازي المحسن منكم بإحسانه، والمسيء منكم بإساءته. " (١). وقال أبو جعفر النَّحَّاسُ: " [جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ...] مفعول أول، وقيل لها كعبة لتربيع أعلاها (الْبَيْتُ الْحَرَامُ) بدل (قِيَامًا) مفعول ثانٍ... " (٢). وقال ابنُ عَطِيَّة: " وجعل في هذه الآية بمعنى صير والكعبة بيت مكة وسمي كعبة لتربيعة قال أهل اللغة كل بيت مربع فهو مكعب وكعبة ومنه قول الأسود بن يعفر:

أهل الخورنق والسدير وبارق * * والبيت ذي الكعبات من سنداد

قالوا كانت فيه بيوت مربعة وفي كتاب سير ابن إسحاق أنه كان في خثعم بيت يسمونه كعبة اليمانية وقال قوم سميت كعبة لنتوئها ونشوزها على الأرض ومنه كعب ثدي الجارية ومنه كعب القدم ومنه كعوب القناة و " قياما " معناه أمر يقوم للناس بالآمنة. "

وقال ابنُ الجوزي: " قوله تعالى (جعل الله الكعبة) جعل بمعنى صير،... " (٣).

ونذكر الفخرُ الرَّازيُّ لجعل في هذه الآية معنيين، حيثُ قال: " {جَعَلَ} فيه قولان:

الأول: أنه بين وحكم، الثاني: أنه صير، فالأول بالأمر والتعريف، والثاني بخلق الدواعي في قلوب الناس لتعظيمه والتقرب إليه.

وقال: " سميت الكعبة كعبة لارتفاعها، يقال للجارية إذا نتأ ثديها وخرج كاعب وكعاب، وكعب الإنسان يسمى كعباً لنتوه من الساق، فالكعبة لما ارتفع ذكرها في الدنيا

(١) جامع البيان: ١١ - ٩٤.

(٢) إعراب القرآن: ٢ - ٤٢.

(٣) زاد المسير: ٢ - ٤٢٩.

واشتهر أمرها في العالم سميت بهذا الاسم، ولذلك فإنهم يقولون لمن عظم أمره فلان علا كعبه.

وقال: " قوله {قِيَامًا لِلنَّاسِ} أصله قوام لأنه من قام يقوم، وهو ما يستقيم به الأمر ويصلح... وقال: المراد بقوله {قِيَامًا لِلنَّاسِ} أي لبعض الناس وهم العرب، وإنما حسن هذا المجاز لأن أهل كل بلد إذا قالوا الناس فعلوا كذا وصنعوا كذا فإنهم لا يريدون إلا أهل بلدتهم فلهذا السبب خوطبوا بهذا الخطاب على وفق عاداتهم.

وقال: اعلم أن الآية دالة على أنه تعالى جعل أربعة أشياء سبباً لقيام الناس وقوامهم.

الأول: الكعبة وقد بينّا معنى كونها سبباً لقيام الناس، وأما الثاني: فهو الشهر الحرام ومعنى كونه سبباً لقيام الناس هو أن العرب كان يقتل بعضهم بعضاً في سائر الأشهر، ويغير بعضهم على بعض، فإذا دخل الشهر الحرام زال الخوف وقدروا على الأسفار والتجارات وصاروا آمنين على أنفسهم وأموالهم وكانوا يحصلون في الشهر الحرام من الأقوات ما كان يكفيهم طول السنة، فلولا حرمة الشهر الحرام لهلكوا وتفاؤوا من الجوع والشدة فكان الشهر الحرام سبباً لقوام معيشتهم في الدنيا أيضاً. فهو سبب لاكتساب الثواب العظيم بسبب إقامة مناسك الحج.

واعلم أنه تعالى أراد بالشهر الحرام الأشهر الأربعة إلا أنه عبّر عنها بلفظ الواحد لأنه ذهب به مذهب الجنس. وأما الثالث: فهو الهدى وهو إنما كان سبباً لقيام الناس، لأن الهدى ما يهdy إلى البيت ويذبح هناك ويفرق لحمه على الفقراء فيكون ذلك نسكاً للمهدي وقواماً لمعيشة الفقراء. وأما الرابع: فهو القلائد، والوجه في كونها قياماً للناس أن من قصد البيت في الشهر الحرام لم يتعرض له أحد، ومن قصده من غير الشهر الحرام ومعه هدي، وقد قلده وقلد نفسه من لحاء شجرة الحرم لم يتعرض له أحد، حتى أن الواحد من العرب يلقي

الهدي مقلداً، ويموت من الجوع فلا يتعرض له البتة، ولم يتعرض لها صاحبها أيضاً، وكل ذلك إنما كان لأن الله تعالى أوقع في قلوبهم تعظيم البيت الحرام، فكل من قصده أو تقرب إليه صار آمناً من جميع الآفات والمخافات، فلما ذكر الله تعالى أنه جعل الكعبة البيت الحرام قياماً للناسي ذكر بعده هذه الثلاثة، وهي الشهر الحرام والهدي والقلائد، لأن هذه الثلاثة إنما صارت سبباً لقوام المعيشة لانتسابها إلى البيت الحرام، فكان ذلك دليلاً على عظمة هذا البيت وغاية شرفه. " (١).

وقال العُكْبَرِيُّ: " قوله تعالى (جَعَلَ اللَّهُ) هي بمعنى صَيَّرَ فيكونُ (قياماً) مفعولاً ثانياً. وقيلَ هي بمعنى (خلق) فيكونُ قياماً حالاً، و (البيت) بدل من الكعبة... " (٢)
وذكر أبو حَيَّان أنَّها بمعنى (صَيَّرَ) و (خلق)، حيثُ قال: " وجعل هنا بمعنى صَيَّرَ. وقيل: جعل بمعنى بين... " (٣).

وقال السَّامِيُّ الحَلَبِيُّ: " قوله تعالى: {جَعَلَ اللَّهُ}: فيها وجهان، أحدهما: أنها بمعنى صَيَّرَ فتتعدى لاثنتين، أولهما "الكعبة" والثاني "قياماً" والثاني: أن تكون بمعنى خلق فتتعدى لواحد، وهو "الكعبة" و"قياماً" نصبٌ على الحال. وقال بعضهم: إنَّ "جعل" هنا بمعنى "بَيَّنَّ" و"حَكَمَ"، وهذا ينبغي أن يُحْمَل على تفسير المعنى لا تفسير اللغة؛ إذ لم ينقل أهلُ العربية أنها تكونُ بمعنى بَيَّنَّ ولا حَكَمَ، ولكن يلزم من الجَعْلِ البيانُ، وأمَّا "البيت" فانتصابه على أحد وجهين: إما البدلُ وإما عطفُ البيان، وفائدة ذلك أن بعض الجاهلية - وهم خنعم - سَمَّوْا بيتاً الكعبةَ اليمانية فجاء بهذا البدلُ أو البيانُ تبيناً له من غيره. وقال الزمخشري: "البيت الحرام"

(١) مفاتيح الغيب: ٢ - ١٧١٥.

(٢) التَّيْبَان: ٢٢٧.

(٣) البحر المحيط: ٤ - ٢٨.

عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك" واعترض عليه الشيخ بأن شرط البيان الجمود، والجمود لا يُشعر بمدح، وإنما يُشعر به المشتق، ثم قال: "إلا أن يريد أنه لما وُصف البيت الحرام اقتضى المجموع ذلك فيمكن".^(١)

وقال الألوسي: " جعل الله الكعبة أي صيرها....وقوله تعالى البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لأنه عرف بالتعظيم عندهم فصار في معنى المعظم أو لأنه وصف بالحرام المشعر بحرمته وعظمته وذكر البيت كالتوطئة له فالاعتراض بالجمود من الجمود دون التوضيح وقيل: جيء به للتبيين لأنه كان لختعم بيت يسمونه بالكعبة اليمانية.

وجوز أن يكون بدلا وان يكون مفعولا ثانيا لجعل وقوله سبحانه: قياما للناس نصب على الحال ويرده عطف ما بعده على المفعول الأول كما ستعلم قريبا إن شاء الله تعالى بل هذا هو المفعول الثاني وقيل: جعل بمعنى خلق فتعدى لواحد وهذا حال ومعنى كونه قياما لهم أنه سبب إصلاح أمورهم وجبرها دينا ودنيا حيث كان مأمنا لهم وملجأ ومجمعا لتجارتهم يأتون إليه من كل فج عميق ولهذا قال سعيد بن جبیر: من أتى هذا البيت يريد شيئا للدنيا والآخرة أصابه... " (٢). و (جعل) عند الشَّيْخ الدَّرَوِيْشَ بِمَعْنِيْن (صَيَّرَ أَوْ خَلَقَ)، حَيْثُ قَالَ: " وَ " جعل " لك أن تعتبرها بمعنى " صَيَّرَ " وأن تعتبرها بمعنى " خلق ". وجعل الله فعلٌ وفاعلٌ،

(١) الدر المصون: ١ - ٢١٨٦.

(٢) روح المعاني: ٧ - ٣٥. وسميت كعبة على ما روى عكرمة ومجاهد لأنها مربعة والتكعيب التربع وتطلق لغة على كل بيت مربع وقد يقال: التكعيب للارتفاع قيل: ومنه سميت الكعبة كعبة لكونها مرتفعة ومن ذلك كعب الانسان لارتفاعه ونبوه وكعبت المرأة إذا نأت ثديها وقيل: سميت كعبة لانفرادها من البناء ورده الكرمانى إلى ما قبله لأن المنفرد من البناء نأت من الأرض.

والكعبة مفعولٌ به، والبيت الحرام بدل من الكعبة، والفائدة من البدلية المديح، وقياماً على الأول مفعولٌ به ثانٍ، وعلى الثاني حالٌ من الكعبة... " (١)

رأي الباحث: اتفق مع الشيخ الدرويش فيما ذهب إليه.

* النموذج الرابع:

قوله تعالى: [مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ] {المائدة: ١٠٣}

اختلفت آراء العلماء حول معنى (جعل) في هذه الآية فمنهم من ذهب إلى أنها بمعنى (سمي) ومنهم من ذهب إلى أنها بمعنى (شرع) وثالث بمعنى (سن) ورابع بمعنى (حكم) وخامس بمعنى (أمر) وسادس بمعنى (وضع)، وخامس بمعنى (خلق أو صير) وهذه أقوالهم في هذا الشأن:

حيث بينَ الفراء معنى البحيرة والسائبة والوصيلة والحام بقوله: " (٢).

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٢ - ٢٨٩.

(٢) معاني القرآن: ١ - ٣٢٢. قد اختلف في السائبة. فقيل: كان الرجل يسيب من ماله ما شاء، يذهب به إلى الذين يقومون على خدمة آلهتهم. قال بعضهم: السائبة إذا ولدت الناقة عشرة أبطن كلهن إناث سيبت فلم تُركب ولم يُجر لها وبر، ولم يُشرب لبنها إلا ولدها أو ضيف حتى تموت، فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء وبُحرَّت أذن ابن ابنتها - يُريد - خُرقت - فالبحيرة ابنة السائبة، وهي بمنزلة أمها. وأمّا الوصيلة فمن الشاة. إذا ولدت الشاة سبعة أبطن عناقين فولدت في سابعها عناقاً وجدياً قيل: وصلت أخاها، فلا يُشرب لبنها النساء وكان للرجال، وجرت مجرى السائبة. وأمّا الحامي فالفعل من الإبل؛ كان إذا لقي ولد له حامي ظهره، فلا يُركب ولا يُجر له وبر، ولا يُمنع من مرعى، وأي إبل ضرب فيها لم يُمنع. " (٢). ولم يتعرض لمعنى (جعل).

وقال ابنُ سيِّدة الأندلسي: " {مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ} وقال ابن عطية و{جعل} في هذه الآية لا يتجه أن تكون بمعنى (خلق الله) لأنَّ الله تعالى خلق هذه الأشياء كلها، ولا هي بمعنى (صير) لعدم المفعول الثاني، وإنما هي بمعنى (ما سن ولا شرع)، ولم يذكر النحويون في معاني جعل (شرع)، بل ذكروا أنَّها تأتي بمعنى (خلق) وبمعنى (ألقى) وبمعنى (صير)، وبمعنى (الأخذ في الفعل) فتكون من أفعال المقاربة. وذكر بعضهم بمعنى (سمي)، وقد جاء حذف أحد مفعولي ظنَّ وأخواتها إلَّا أنه قليل والحمل على ما سمع أولى من إثبات معنى لم يثبت في لسان العرب فيحتمل أن يكون المفعول الثاني محذوفاً، أي ما صير الله بحيرةً ولا سائبةً ولا وصيلةً ولا حامياً مشروعةً بل هي من شرع غير الله. ^(١) وذهب ابنُ عطية إلى أنَّها بمعنى ما سنَّ ولا شرع، حيثُ قال: " و " جعل " في هذه الآية لا يتجه أن تكون بمعنى خلق الله لأنَّ الله تعالى خلق هذه الأشياء كلها. ولا هي بمعنى صير لعدم المفعول الثاني وإنما هي بمعنى ما سن ولا شرع فتعدت تعدي هذه التي بمعناها إلى مفعول واحد... ^(٢) وذهب ابنُ الجوزي إلى أنَّها بمعنى (ما أوجب ذلك ولا أمر به) ^(٣). وقال الفخر الرَّازي: " قوله تعالى: {مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ} في الآية مسائل:

المسألة الأولى: أعلم أنه تعالى لما منع الناس من البحث عن أمور ما كلفوا بالبحث عنها كذلك منعهم عن التزام أمور ما كلفوا التزامها، ولما كان الكفار يحرمون على أنفسهم الانتفاع بهذه الحيوانات وإن كانوا في غاية الاحتياج إلى الانتفاع بها، بيّن تعالى أن ذلك باطل فقال: {مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ}.

(١) إعراب القرآن: ٣ - ٤٥٧.

(٢) المحرر الوجيز: ٢ - ٢٩٠.

(٣) زاد المسير: ٢ - ٤٣٦.

المسألة الثانية: أعلم أنه يقال: فعل وعمل وطفق وجعل وأنشأ وأقبل، وبعضها أعم من بعض، وأكثرها عموماً فعل، لأنه واقع على أعمال الجوارح وأعمال القلوب، أما إنه واقع على أعمال الجوارح فظاهر، وأما إنه واقع على أعمال القلوب، فدلّل عليه قوله تعالى: {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا} إلى قوله {كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} (النحل: ٣٥) وأما عمل فإنه أخص من فعل، لأنه لا يقع إلا على أعمال الجوارح، ولا يقع على الهم والعزم والقصد، والدليل عليه قوله عليه السلام: "نية المؤمن خير من عمله" جعل النية خيراً من العمل، فلو كانت النية عملاً، لزم كون النية خيراً من نفسها، وأما جعل فله وجوه: أحدها: الحكم ومنه قوله {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِثًا} (الزخرف: ١٩) وثانيها: الخلق، ومنه قوله: {وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} (الانعام: ١). وثالثها: بمعنى التصيير ومنه قوله {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا} (الزخرف: ٣).

إذا عرفت هذا فنقول: قوله {مَا جَعَلَ اللَّهُ} أي ما حكم الله بذلك ولا شرع ولا أمر به.^(١) وقال الألوسي: "ومعنى ما جعل ما شرع ولذلك عدى إلى مفعول واحد وهو بحيرة وما عطف عليها و من سيف خطيب أتى بها لتأكيد النفي وأنكر بعضهم مجيء جعل بمعنى شرع عن أحد من أهل اللغة وجعلها هنا للتصيير والمفعول الثاني محذوف أي ما جعل البحيرة ولا ولا مشورة وليس كما قال فان الراغب نقل ذلك عن أهل اللغة وهو ثقة لا يفتري عليهم...".^(٢) وذهب الشيخ الدرويش إلى أنها بمعنى (خلق) ويجوز أن تكون بمعنى (صير)، حيث قال عند إعرابه لهذه الآية: "كلامٌ مُستأنفٌ، مسوقٌ لشجب عادات وأعمال من عاداتهم وأعمالهم مبتدعة، لم يأمر الله بها ولم يشرّعها. وما نافيةٌ، وجعلَ بمعنى خلق، فهي تتعدّى لواحد، أو

(١) مفاتيح الغيب: ١ - ١٧٢١.

(٢) روح المعاني: ٧ - ٤٣.

بمعنى صَيَّرَ فتتعدَّى لاثنتين، ويكونُ الثاني محذوفاً، أي صَيَّرَهَا مشروعةً. واللهُ فاعلٌ، ومن حرف جرٍّ زائدٍ، وبحيرة مجرور لفظاً مفعول به منصوب محلاً. ^(١) "

* (٤) سورة الأنعام:

النَّمُودَجُ الْأَوَّلُ:

قوله تعالى: [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ] {الأنعام: ١}

يرى الطَّبْرِيُّ أَنَّ (جعل) في هذه الآية تدلُّ على اتِّصَالِ الْفِعْلِ ودوامِهِ، حيثُ قال: " (وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) يقولُ تعالى ذكرُهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَظْلَمَ اللَّيْلَ، وَأَنَارَ النَّهَارَ... عن قتادة: أَمَا قَوْلُهُ: "الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور"، فإنه خلق السماوات قبل الأرض، والظلمة قبل النور، والجنة قبل النار. فإن قال قائل: فما معنى قوله إذا: "جعل".

قيل: إن العرب تجعلها ظرفاً للخبرِ والفِعْلُ فتقول: "جعلت أفعل كذا"، و"جعلت أقوم وأقعد"، تدل بقولها "جعلت" على اتصال الفعل، كما تقول "علقت أفعل كذا" = لا أنها في نفسها فِعْلٌ. يدلُّ على ذلك قول القائل: "جعلت أقوم"، وأنه لا جَعَلَ هناك سوى القيام، وإنما دَلَّ بقوله: "جعلت" على اتِّصَالِ الْفِعْلِ ودوامِهِ.

ومن ذلك قول الشاعر:

وَرَعَمْتَ أَتَّكَ سَوْفَ تَسْلُكُ فَارِدًا ... وَالْمَوْتُ مُكْتَتِعٌ طَرِيقِي قَادِرِ

^(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٢ - ٣٠٤.

فَاجْعَلْ تَحَلَّلَ مِنْ يَمِينِكَ إِنَّمَا ... حِنْثُ الْيَمِينِ عَلَى الْأَيْمِ الْفَاجِرِ

قول: "فاجعل تحلل"، بمعنى: تحلل شيئاً بعد شيء = لا أن هناك جَعَلًا من غير التحليل. فذلك كل "جَعَلٍ" في الكلام، إنما هو دليل على فعلٍ له اتصال، لا أن له حظاً في معنى الفعل. فقله: "وجعل الظلمات والنور"، إنما هو: أظلم ليلهما، وأنارَ نهارهما. " (١).

وهي عند الزَّجَاجِ بمعنى (صنَعَ وخلق)، حيثُ قال: "وقد يجيء جعل بمعنى (صنع، وخلق)؛ فيكون متعدياً إلى مفعول واحد، قال الله تعالى (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) بمعنى صنع وخلق... " (٢).

– الفرق بين الخلق والجعل عند الزمخشري:

وهي عند الزمخشري بمعنى (أحدث وأنشأ)، وقد فرَّق بين (الخلق والجعل) بقوله: " (جَعَلَ) يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ، كقوله: (وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) وإلى مفعولين إذا كان بمعنى صير كقوله: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِاثًا) (الزخرف: ١٩) والفرق بين الخلق والجعل: أن الخلق فيه معنى التقدير، وفي الجعل معنى التَّصْمِين، كإنشاء شيء من شيء أو تصيير شيء شيئاً، أو نقله من مكان إلى مكان، ومن ذلك (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) (الأعراف: ١٨٩) (وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ)؛ لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة والنور من النار (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ أَزْوَاجًا) (فاطر: ١١) (أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً) (ص: ٥). " (٣).

(١) جامع البيان: ١١ - ٢٤٩.

(٢) إعراب القرآن: ١ - ٨٦.

(٣) الكشاف: ٢ - ٥.

و (جعل) عند ابن عطية، وابن الأنباري، وابن الجوزي، والسَّمين الحلبي، وابن عادل، بمعنى (خلق)، حيثُ قال ابنُ عطية: "والذي يبنني من مجموع آي القرآن أن الله تعالى خلق الأرض ولم يدحها ثم استوى إلى السَّماء فخلقها ثم دحا الأرض بعد ذلك و " جعل " هاهنا بمعنى (خلق) لا يجوز غير ذلك وتأمل لم خصت " السماوات والأرض " بـ " خلق " و " الظلمات والنور " بـ " جعل " وقال الطبري " جعل " هذه هي التي تتصرف في طرق الكلام كما تقول جعلت كذا فكأنه قال وجعل إظلامها وإنارتها. قال القاضي أبو محمد وهذا غير جيّد لأن " جعل " إذا كانت على هذا النحو فلا بد أن يرتبط معها فعلٌ آخر كما يرتبط في أفعال المقاربة كقولك: كاد زيد يموتُ جعل زيد يجيء ويذهب وأما إذا لم تربط معها فعل فلا يصح أن تكون تلك التي ذكر الطبري وقال السدي وقتادة والجمهور من المفسرين " الظلمات " الليل و" النور " النهار وقالت فرقة " الظلمات " الكفر و" النور " الإيمان.

قال القاضي أبو محمد: وهذا غيرُ جيّدٍ لأنَّه إخراج لفظ بين في اللغة عن ظاهره الحقيقي إلى باطن لغير ضرورة وهذا هو طريق اللغز الذي بريء القرآن منه و " النور " أيضا هنا للجنس فأفراده بمثابة جمعه... " (١).

و(جعل) عند الفخر الرّازي بمعنى (أحدث وأنشأ)، حيثُ قال: " أمّا قوله {وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} ففيه مسائل:

المسألة الأولى: لفظ {جَعَلَ} يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله تعالى: {وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} وإلى مفعولين إذا كان بمعنى صير كقوله {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِائًا} { (الزخرف: ١٩) والفرق بين الخلق والجعل أن الخلق فيه معنى التقدير، وفي الجعل معنى التضمين والتصيير كإنشاء شيء من شيء، وتصيير

(١) المحرر الوجيز: ٢ - ٣١٢.

شيء شيئاً، ومنه: قوله تعالى: {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} (الأعراف: ١٨٩) وقوله {وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا} (الرعد: ٣٨) وقوله {أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً} (ص: ٥) وإنّما حسنُ لفظُ الجعلِ ههنا لأنَّ النُّورَ والظُّلْمَةَ لَمَّا تعاقبا صار كأنه كل واحد منهما إنّما تولد من الآخر. " (١).

أمّا أبو حيّان فقد نقل آراء كلّ من: الرّمخسري، وابن عطية، والطّبري، حيث قال معترضاً على ما ذكره: " وما ذكره - يقصد الرّمخسري - من أنّ جعل بمعنى صيّر في قوله: {وَجَعَلُوا الْمَلَكَةَ} لا يصحّ لأنّهم لم يصيروهم إنثاءً، وإنّما قال بعض النحويين: إنّها بمعنى (سمى). وقول الطبري (جَعَلَ) هنا هي التي تتصرف في طرف الكلام كما تقول: جعلت أفعل كذا فكأنه قال: وجعل إظلامها وإنارتها تخليط، لأن تلك من أفعال المقاربة تدخل على المبتدأ والخبر وهذه التي في الآية تعدت إلى مفعول واحد، فهما متباينان معنى واستعمالاً... " (٢). وهي عند السّمين بمعنى (خلق)، وعند الرّأغب الأصفهاني بمعنى (أوجد).... " (٣)

- وعند المقرئ الجعل في القرآن على خمسة أوجه ذكرها ابن عادل في قوله:

"جَعَلَ" هنا تتعدّى لمفعول واحد ؛ لأنها بمعنى "خَلَقَ"، هكذا عبّارة النحويين، ظاهرها أنّهما مترادفان، إلّا أنّ الرّمخسريّ فرّق بينهما فقال: "والفرق بين الخلق والجعل أنّ الخلق فيه معنى التقدير، وفي الجعل معنى التّصيير كإنشاء شيء من شيء أو تّصيير شيء شيئاً، أو نقله فيه معنى التقدير، وفي الجعل التّصيير كإنشاء شيء أو تّصيير شيء شيئاً، أو

(١) مفاتيح الغيب: ١ - ١٧٤٢.

(٢) البحر المحيط: ٤ - ٧٢.

(٣) الدر المصون: ١ - ٢٢٧٩.

نَقَلَهُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَمِنْ ذَلِكَ (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) (الأعراف: ١٨٩)، (وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) ؛ لِأَنَّ الظُّلُمَاتِ مِنَ الْأَجْزَامِ الْمُتَكَثِّفَةِ، وَالنُّورُ مِنَ النَّارِ .

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ: " جَعَلَ " هُنَا هِيَ الَّتِي تَتَصَرَّفُ فِي طَرَفِ الْكَلَامِ، كَمَا تَقُولُ: " جَعَلْتُ أَفْعَلَ كَذَا ". فَكَأَنَّهُ قَالَ: " جَعَلَ إِظْلَامَهَا وَإِنَارَتَهَا "، وَهَذَا لَا يُشَبِّهُ كَلَامَ أَهْلِ اللِّسَانِ، وَلَكُونَهَا عِنْدَ الزَّمَخْشَرِيِّ لَيْسَتْ بِمَعْنَى " خَلَقَ " فَسَّرَهَا هُنَا بِمَعْنَى " أَحَدَثَ " وَ " أَنْشَأَ ". وَكَذَا الرَّابِعُ جَعَلَهَا بِمَعْنَى " أَوْجَدَ ". ثُمَّ إِنَّ أَبَا حَيَّانٍ اعْتَرَضَ عَلَيْهِ هُنَا لَمَّا اسْتَطَرَدَّ، وَذَكَرَ أَنَّهَا تَكُونُ بِمَعْنَى صَيَّرَ وَمِثْلَ بَقُولِهِ: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا) (الزخرف: ١٩). فَقَالَ وَمَا ذَكَرَ مِنْ أَنَّ جَعَلَ بِمَعْنَى صَيَّرَ فِي قَوْلِهِ (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ) لَا يَصِحُّ ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُصَيِّرُوهُمْ إِنَاثًا وَإِنَّمَا بَعْضُ النُّحَوِيِّينَ أَنَّهَا هُنَا بِمَعْنَى " سَمَّى " .

قَالَ شَهَابُ الدِّينِ: لَيْسَ الْمُرَادُ بِالتَّصْيِيرِ بِالْفِعْلِ، بَلِ الْمُرَادُ بِالتَّصْيِيرِ بِالقَوْلِ، وَقَدْ نَصَّ الزَّمَخْشَرِيُّ عَلَى ذَلِكَ، عَلَى مَا سَيَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ ظَهَرَ الْفَرْقُ بَيْنَ تَخْصِصِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْخَلْقِ، وَالظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ بِالْجَعْلِ بِمَا ذَكَرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ.

* فصل: قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُقَرِّي: وَرَدَ لَفْظُ الْجَعْلِ فِي الْقُرْآنِ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجِهٍ:

الأول: بِمَعْنَى " خَلَقَ " قَالَ تَعَالَى: [وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ] (الزخرف: ١٩)، وَقَوْلُهُ [وَجَعَلَ]

فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا] (فصلت: ١٠)، وَقَوْلُهُ: [وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ] (الفرقان: ٦٢)

وَالثَّانِي: بِمَعْنَى " بَعَثَ " قَالَ تَعَالَى: [وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا] (الفرقان: ٣٥)

وَالثَّلَاثُ: بِمَعْنَى " قَدَرَهُ " قَالَ تَعَالَى [وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا] (الزمر: ٨) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: [وَجَعَلُوا]

الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا] (الزخرف: ١٩)

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: [قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ

رَبُّ الْعَالَمِينَ] (فصلت: ٩) أَيِ تَقُولُونَ.

الرابع: بمعنى " بَيَّن " قال تعالى: [إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] {الزخرف: ٣} أي: بَيَّنَّاهُ بِحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ.

الخامس: بمعنى " صَيَّرَ " قال تعالى: [وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً] {الإسراء: ٤٦} أي: صَيَّرْنَا، وقوله [أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ] {التوبة: ١٩}، وقوله [وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا] {النمل: ٦١}، وقوله: [إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا] {يس: ٨} ^(١).

و(جعل) عند الشَّيْخِ الدَّرَوِيشِ بمعنيين (أَنْشَأَ وأَحْدَثَ، وَصَيَّرَ)، حيثُ قَالَ: " (جعل) تكونُ بمعنى أَنْشَأَ وأَحْدَثَ، فَتَنْصَبُ مَفْعُولًا وَاحِدًا. وَتَكُونُ بِمَعْنَى صَيَّرَ فَتَنْتَعِدِي إِلَى مَفْعُولَيْنِ. وَقَالَ ابْنُ جَنِّي فِي " الْخَصَائِصِ ": " إِنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَشَّعُ فَتَوْقَعُ أَحَدَ الْفَعْلَيْنِ مَوْقِعَ الْآخَرِ إِذَا نَأَى بِأَنَّ هَذَا الْفِعْلَ فِي مَعْنَى الْآخَرِ " وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْجَعْلِ وَالْخَلْقِ دَقِيقٌ يَلْتَقِطُهُ الْخَاطِرُ الْمُرْهَفُ، وَهُوَ أَنَّ الْخَلْقَ فِيهِ مَعْنَى التَّقْدِيرِ، وَالْجَعْلُ فِيهِ مَعْنَى التَّضْمِينِ، كإِنْشَاءِ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ، أَوْ تَصْيِيرِ شَيْءٍ شَيْئًا، أَوْ نَقْلِهِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ. " ^(٢)

رأي الباحث: اتَّفَقَ مَعَ كُلِّ مِنَ الزَّمْخَشَرِيِّ، وَالدَّرَوِيشِ، وَابْنِ جَنِّي فِي مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ.

* النَّمُودَجُ الثَّانِي:

قوله تعالى: [قَالُوا الْإِصْبَاحَ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ] {الأنعام: ٩٦}

(١) اللباب: ٨ - ٩.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٢ - ٣٢٥.

اهتم النُّحَاةُ والمفسِّرون ومعرِّبو القرآن^(١) بالقراءة الواردة في هذه الآية، فمنهم مَنْ قرأ (جعل) ومنهم مَنْ قرأ (جاعل) ولكل فريق من الفريقين حُجَّتُهُ في توجيه القراءة. أمَّا (جعل) فقد جاءت هُنا بمعنى (خلق) وبمعنى (صَيَّرَ)، وهذه بعضُ أقوالهم في هذا الشَّأن:

حيثُ قال الطَّبْرِيُّ: "وأما قوله: "وجاعِلُ الليل سكناً"، فإن القراءة اختلفت في قراءته.

فقرأ ذلك عامة قُرأة الحجاز والمدينة وبعض البصريين: (وَجَاعِلُ اللَّيْلِ) بالألف على لفظ الاسم، ورفع عطفًا على "فالق"، وخفض "الليل" بإضافة "جاعل" إليه، ونصب "الشمس والقمر"، عطفًا على موضع "الليل"، لأن "الليل" وإن كان مخفوضًا في اللفظ، فإنه في موضع النصب، لأنه مفعول "جاعل". وحسن عطف ذلك على معنى "الليل" لا على لفظه، لدخول قوله: "سكناً" بينه وبين "الليل"، قال الشاعر:^(٢)

فُعُوداً لَدَى الْأَبْوَابِ طُلَابَ حَاجَةٍ ... عَوَانٍ مِنَ الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةً بِكَرًا^(٣)

(١) ينظر في هذا الشَّأن المصادر الآتية: معاني القرآن للقرطبي: ١ - ٣٤٦، جامع البيان: ١١ - ٥٥٦، إعراب القرآن للنحاس: ٢ - ٨٤، مشكل إعراب القرآن لمكي: ١ - ٢٦٢، الكشف: ٢ - ٤٧، المحرر الوجيز: ٢ - ٤٧، البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري: ١ - ٣٣٢، زاد المسير: ٣ - ٩١، مفاتيح الغيب: ١ - ١٨٤٣، ١٨٤٤، التبيين للعسكري: ٢٥٤، البحر المحيط: ٤ - ١٩٠، الدر المصون: ١ - ٢٥٠٠، ٢٥٠١، اللباب: ٨ - ٣٠٩.

(٢) الفرزدق.

(٣) قال المحقق: ديوان الفرزدق: ٢٢٧، وطبقات فحول الشعراء: ٢٥٦، وتاريخ الطبري: ١٣٨، وغيرها. وسيأتي في ٧: ١٨٨ (بولاق)، والشعر في زياد، وقبله: دعاني زياد للعتاء ولم أكن ... لأقربه ما ساق ذو حسب وفرا وعند زياد، لو يريد عطاءهم، ... رجال كثير قد يرى بهم فقرا. ويروى: قعودا، ورواية ابن سلام "طالب حاجة"، ونصب "أو حاجة بكرًا" عطفًا على محل "حاجة عوان"، فمحلها نصب بقوله: "طلاب". وزاد المحقق: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١ - ٢٠١.

نصب "الحاجة" الثانية، عطفاً بها على معنى "الحاجة" الأولى، لا على لفظها، لأن معناها النصب، وإن كانت في اللفظ خفضاً. وقد يجيء مثل هذا أيضاً معطوفاً بالثاني على معنى الذي قبله لا على لفظه، وإن لم يكن بينهما حائل، كما قال بعضهم: ^(١)

بَيْنَا نَحْنُ نَنْظُرُهُ أَتَانَا ... مُعْلَقَ شِكْوَةٍ وَزِنَادَ رَاعٍ ^(٢)

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين: (وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكْنًا وَالشَّمْسَ)، على "فَعَلَ"، بمعنى الفعل الماضي، ونصب "الليل".

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، متفقتا المعنى، غير مختلفتيه، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب في الإعراب والمعنى.

وأخبر جل ثناؤه أنه جعل الليل سكوناً، لأنه يسكن فيه كل متحرك بالنهار، ويهدأ فيه، فيستقر في مسكنه ومأواه. ^(٣)

^(١) لرجل من قيس عيلان.

^(٢) سيبويه ١: ٨٧، معاني القرآن للفراء ١: ٣٤٦، الصاحبي: ١١٨، شرح شواهد المغني: ٢٧٠، والذي هنا رواية الفراء وابن فارس. ورواية سيبويه "بيننا نحن نطلبه"، وفي شرحه "ترقبه"، وروايته أيضاً "معلق وفضة". وكان في المطبوعة هنا: "فبيننا" بالفاء، وأثبت ما في المخطوطة. وفي المطبوعة: "شلوه" وهو خطأ.

"تنظره": نرقبه وننتظره. و"الشكوة": وعاء كالدلو أو القرية الصغيرة، يبرد فيه الماء، ويحبس فيه اللبن. وأما "الوفضة"، فهي خريطة كالجعبة، يحمل فيها الراعي أدلته وزاده. ولم أجد بقية الشعر. نقلا عن المحقق.

^(٣) جامع البيان: ١١ - ٥٥٦.

قال الإمام ابنُ خالويه: ^(١) "قوله: " وجاعل الليل ". يُقرأ بإثبات الألف. وخفض الليل، وبطرحها ونصب الليل. فالحُجَّةُ لِمَنْ أثبت الألفَ وخفض: أَنَّهُ رَدَّ لفظ (فاعل) على مثله، وأضافَ بمعنى ما قد مضى، وثبت، وهو الأحسنُ، والأشهرُ. والحُجَّةُ لِمَنْ حذفها، ونصب: أَنَّهُ: جعله فعلاً ماضياً وعطفه على فاعل ^(٢) معنى لا لفظاً كما عطفَت العربُ اسمَ الفاعلِ على الماضي ؛ لأنَّه بمعناه قال الرَّاجِزُ:

يَا لَيْتَنِي عَلِفْتُ غَيْرَ خَارِجٍ أَمْ صَبِيٍّ قَدْ حَبَا أَوْ دَارِجٍ ^(٣).

وفي توجيهه لهذه الآية قال السَّمينُ الحلبيُّ: " قوله: {وَجَاعِلِ اللَّيْلِ} قرأ الكوفيون: "جعل" فعلاً ماضياً، والباقيون بصيغة اسم الفاعل، والرسم يحتملهما، والليل منصوب عند الكوفيين بمقتضى قراءتهم، ومجرور عند غيرهم، ووجه قراءتهم له فعلاً مناسبتة ما بعده فإن بعده الأفعال ماضية نحو: {جَعَلَ لَكُمْ التُّجُومَ}، {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ} إلى آخر الآيات، ويكون "سكناً": إما مفعولاً ثانياً على أن الجعل بمعنى التصيير، وإمّا حالاً على أنه بمعنى الخلق، وتكون الحال مقدرة. وأمّا قراءة غيرهم فجاعل يحتمل أن يكون بمعنى المضى، وهو الظاهر، ويؤيده قراءة الكوفيين، والماضي عند البصريين لا يعمل إلا مع أل خلافاً لبعضهم في منع إعمال المعرّف بها، ولكسائي في إعماله مطلقاً، وإذا تقرر ذلك فـ "سكناً" منصوب بفعل

^(١) الحجة في القراءات السبع: ص ١٤٦. للإمام ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ). تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م.

^(٢) في قوله تعالى: " فالحق الإصباح " الآية نفسها. الأنعام: ٩٦.

^(٣) في رواية الفراء: يَا لَيْتَنِي عَلِفْتُ غَيْرَ خَارِجٍ قَبْلَ الصَّبَاحِ ذَاتِ خَلْقٍ بَارِجٍ. أَمْ صَبِيٍّ قَدْ حَبَا أَوْ دَارِجٍ. وفي رواية اللسان: يَا لَيْتَنِي قَدْ زَرْتُ غَيْرَ خَارِجٍ أَمْ صَبِيٍّ قَدْ حَبَا أَوْ دَارِجٍ. ويرى محقق كتاب (معاني القرآن) للفراء، أَنَّ الأقرب أن تكونَ " حارج " بالحاءِ المُهْمَلَةِ أي آثم. أنظر الروايتين في معاني القرآن للفراء ج ١ ص ٢١٤، واللسان: درج.

مضمّر عند البصريين، وعلى مقتضى مذهب الكسائي ينصبه به. وقد زعم أبو سعيد السيرافي أن اسم الفاعل المتعدي إلى اثنين يجوز أن يعمل في الثاني وإن كان ماضياً، قال: "لأنه لما أضيف إلى الأول تعدّرت إضافته للثاني فتعيّن نصبه له". وقال بعضهم: "لأنه بالإضافة أشبه المعروف بأل فعل مطلقاً" فعلى هذا "سكناً" منصوب به أيضاً، وأما إذا قلنا إنه بمعنى الحال والاستقبال فنصبه به. و "سَكَنَ" فَعَلَ بمعنى مفعول كالقبض بمعنى مقبوض....^(١). وذكر الألوسي أن (جعل) في الآية بمعنيين هما (صَيَّرَ، أحدث)^(٢).

وفي توجيهه لهذه الآية نحوياً قال الشَّيْخُ الدَّرَوِيْشُ: " فآلَقُ الْإِصْبَاحَ نَعْتُ لِلَّهِ، وَالْإِصْبَاحُ مُضَافٌ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ الْوَائِ عَاطِفَةٌ، جَعَلَ فَعَلَ مَاضٍ، وَاللَّيْلُ مَفْعُولُهُ الْأَوَّلُ، وَسَكَنًا مَفْعُولُهُ الثَّانِي، وَفِي قِرَاءَةٍ يَنْسَبُونَهَا إِلَى الْجُمْهُرَةِ " جَاعِلٍ " بَجَرٍ " اللَّيْلِ " بِالْإِضَافَةِ مُنَاسِبَةً لِقَوْلِهِ: " فَآلَقُ الْإِصْبَاحَ"، وَلِئِنْ أَنْ تَنْصَبَ سَكَنًا عَلَى الْحَالِ. " ^(٣)

رأي الباحث: اتَّفَقَ مع جمهور العلماء في توجيه الراءه، ومع الألوسي في أن (جعل) تحتل معنيين (صَيَّرَ، وأحدث).

* النَّمُودَجُ الثَّالِثُ:

قوله تعالى: [وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ] {الأنعام: ٩٧}

(١) الدر المصون: ١ - ٢٥٠٠، ٢٥٠١، ٢٥٠٢.

(٢) روح المعاني: ٧ - ٢٣٣.

(٣) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٢ - ٤١٥.

ذهب ابن عطية إلى أنَّ (جعلَ) في هذه الآية بمعنى (خلق) ويُمكنُ أن تكونَ بمعنى (صيرَ) وذهب ابنُ الجوزيِّ، والفخرُ الرَّازيُّ إلى أنَّها بمعنى (خلق)، ورأى أبو حيَّان الأندلسيُّ أنَّها بمعنى (خلق) واعترض على ابنِ عطية حينما قالَ إِنَّها بمعنى (صيرَ) وضعَّفهُ، ورأى السَّمينُ الحلبيُّ أنَّها بمعنى (خلق) واعترض على أبي حيَّان لأنَّه ضعَّفَ رأي ابنِ عطية، ونفس الأمر صنعهُ ابنُ عادل، بينما رأى الألويسيُّ أنَّها بمعنى (أنشأ، أو صيرَ). وهذه بعضُ أقوالهم في هذا الشَّانِ:

قال ابنُ عطية: "و " جعل " هنا بمعنى (خلق) لدخولها على مفعول واحد وقد يمكن أن تكون بمعنى (صيرَ) ويقدر المفعول الثاني في " لتَهْتَدُوا " لأنه يقدر وهو الذي جعل لكم النجوم هداية و " في ظلمات " هي ها هنا على حقيقتها في ظلمة الليل بقرينة النجوم التي لا تكون إلا بالليل ويصح أن تكون الظلمات ها هنا الشدائد في المواضع التي يتفق أن يهتدي فيها الشمس وذكر الله تعالى النجوم في ثلاث منافع وهي قوله " ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح " وقوله " وجعلناها رجوما للشياطين " وقوله " وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر " فالواجب أن يعتقد أن ما عدا هذه الوجوه من قول أهل التأثير باطل واختلاق على الله وكفر به^(١)

وبَيَّنَّ الفخرُ الرَّازيُّ العلَّةُ الَّتِي من أجلها خلق اللهُ النُّجُومَ وَبَيَّنَّ وجوهَ فائدتها للبشر بقوله:

" هذا هو النوع الثالث من الدلائل الدالة على كمال القدرة والرحمة والحكمة، وهو أنه تعالى خلق هذه النجوم لمنافع العباد وهي من وجوه:

(١) المحرَّر الوجيز: ٢ - ٣٨٥.

الوجه الأول: أنه تعالى خلقها لتهتدي الخلق بها إلى الطرق والمسالك في ظلمات البر والبحر حيث لا يرون شمساً ولا قمراً لأن عند ذلك يهتدون بها إلى المسالك والطرق التي يريدون المرور فيها.

الوجه الثاني: وهو أن الناس يستدلون بأحوال حركة الشمس على معرفة أوقات الصلاة، وإنما يستدلون بحركة الشمس في النهار على القبلة، ويستدلون بأحوال الكواكب في الليالي على معرفة القبلة.

الوجه الثالث: أنه تعالى ذكر في غير هذه السورة كون هذه الكواكب زينة للسماء، فقال {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا} (الفرقان: ٦١) وقال تعالى: {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ} (الصافات: ٦) وقال: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} (البروج: ١).
الوجه الرابع: أنه تعالى ذكر في منافعها كونها رجوماً للشياطين.

الوجه الخامس: يمكن أن يقال: لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر أي في ظلمات التعطيل والتشبيه، فإن المعطل ينفي كونه فاعلاً مختاراً، والمشبّه يثبت كونه تعالى جسماً مختصاً بالمكان فهو تعالى خلق هذه النجوم ليهتدى بها في هذين النوعين من الظلمات، أما الاهتداء بها في ظلمات بر التعطيل، فذلك لأننا نشاهد هذه الكواكب مختلفة في صفات كثيرة فبعضها سيارة وبعضها ثابتة، والثوابت بعضها في المنطقة وبعضها في القطبين، وأيضاً الثوابت لامعة والسيارة غير لامعة، وأيضاً بعضها كبيرة درية عظيمة الضوء، وبعضها صغيرة خفية قليلة الضوء، وأيضاً قدرها مقاديرها على سبع مراتب. ^(١)

(١) مفاتيح الغيب: ١ - ١٨٤٤.

وقال أبو حيَّان معترضاً على ابن عطية: " و (لَتَهْتَدُوا) متعلق بجعل مضمرة لأنها بدل من لكم أي جعل ذلك لاهتدائكم وجعل معناها خلق فهي تتعدى إلى واحد، قال ابن عطية: وقد يمكن أن تكون بمعنى صير ويقدر المفعول الثاني من (لَتَهْتَدُوا) أي جعل لكم النجوم هداية انتهى، وهو ضعيف لندور حذف أحد مفعولي باب ظن وأخواتها والظاهر أن الظلمات هنا على ظاهرها وأبعد من قال: يصح أن تكون الظلمات هنا الشدائد في المواضع التي يتفق أن يهتدى فيها بها، وأضاف الظلمات إلى البر والبحر لملاستها لهما أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات وذكر تعالى النجوم في كتابه للزينة والرحم والهداية فما سوى ذلك اختلاق على الله وافتراء. " (١). وردَّ السَّامِيُّ الحلبيُّ على أبي حيَّان بقوله: " وقوله تعالى: {جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ}: الظاهر أن "جعل" بمعنى خلق فتكون متعدية لواحد، و "لكم" متعلق بـ "جَعَلَ" وكذا "لتهتدوا". فإن قيل: كيف يتعلَّق حرفاً جرٍّ متَّحداً في اللفظ والمعنى؟ فالجواب أن الثاني بدلٌ من الأول بدلٌ اشتمال بإعادة العامل، فإن "ليهدتوا" جار ومجرور، إذ اللام لام كي، والفعل بعدها منصوب بإضمار "أن" عند البصريين وقد تقدَّم تقريره. والتقدير: جعل لكم النجوم لاهتدائكم، ونظيره في القرآن {الْجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ} فـ "لبيتهم" بدلٌ من "لمن يكفر" بإعادة العامل، وقال ابن عطية: "وقد يمكن أن يكون بمعنى "صير" ويقدر المفعول الثاني من لَتَهْتَدُوا، أي: جعل لكم النجوم هداية".

قال الشيخ: - يقصدُ أبا حيَّان - "وهو ضعيفٌ لندور حَذَفِ أحد مفعولي ظنٍّ وأخوانها" قلت: لم يدَّعِ ابنُ عطية حَذَفَ المفعول الثاني حتى يجعله ضعيفاً إنما قال: إنه مِنْ "لتهتدوا" أي: فيُقَدَّر متعلق الجار الذي وقع مفعولاً ثانياً كما يُقَدَّر في نظائره والتقدير: جعل لكم النجوم

(١) البحر المحيط: ٤ - ١٩١.

مستقرة أو كائنة لاهتدائكم. وأمّا قوله: "أَيَّ جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ هَدَايَةً" فلايضاح المعنى وبيانه. "^(١) بينما يرى الألوسي أنها بمعنى (أنشأ أو صيّر) ^(٢).

قد وجّه الدرويش الآية بقوله: "الواو حرفُ عطفٍ، وهو مبتدأ، والذي خبره، وجعلَ هنا بمعنى خلق فتتعدى لواحدٍ، ولكم جارٌّ ومجرورٌ مُتعلّقانِ بجعل، والنُّجُومُ مفعولٌ به، ولتهتدوا اللامُ للتعليلِ والجرّ، وتهتدوا فعل مضارع منصوبٌ بأن مُضمرة بعد لامِ التعليلِ، والجارُّ والمجرورُ مُتعلّقانِ بجعل أيضاً، عن طريقِ البدليّةِ الاشتمالِيّةِ، بإعادةِ العاملِ، والتقديرُ: جعلَ لَكُمْ النُّجُومَ لاهتدائكم، وفي ظلماتِ البرِّ والبحرِ جارٌّ ومجرورٌ مُتعلّقانِ بمحذوفٍ حال، أي حال كونكم مدلجين في ظلماتِ الليلِ بالبرِّ والبحرِ. " ^(٣)

رأي الباحث: ممّا سبق يتّضح لنا أنّ (جعل) هنا بمعنى (خلق أو أنشأ) وهو رأي الأغلبية من العلماء وأنا أتفق معهم فيما ذكروه. وخصوصاً الفخر الرّازي.

(٥) سورة الأعراف: الآية (١٨٩)

[هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ] {الأعراف: ١٨٩}

وقوله تعالى: [قَلَمًا أَتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ]

{الأعراف: ١٩٠}

الجمهور على أنّ المراد بقوله (مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) آدَمُ عليه السّلام، وأنّ معنى (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) هي حواء، و (مِنْهَا) إمّا من جنس آدَمَ مِنْ ضلعٍ من أضلاعه، وإمّا أن يكونَ من

^(١) الدر المصون: ١ - ٢٥٠٤.

^(٢) روح المعاني: ٧ - ٢٣٣.

^(٣) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٢ - ٤١٨.

جنسها كما قال تعالى (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا)، أمَّا (جعل) في هذه الآية فهم يرون أنها بمعنى (خلق) خصوصاً وأنَّ هذه الآية مُرتبطة بقوله تعالى في سورة النساء: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا] {النساء: ١}، وهذه بعض أقوالهم في هذا الشأن:

حيثُ قَالَ الرَّجَّاجُ: " وقد يجيء جعل بمعنى (صنع، وخلق) ؛ فيكون متعدياً إلى مفعول واحد، قال الله تعالى (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) بمعنى (صنع وخلق) وقال الله تعالى (وجعل منها زوجها). " (١)

وقال الفخر الرَّازِيُّ: " أجمعوا على أن المراد بالزوجة حواء وإن لم يتقدم ذكرها في هذه السورة وفي سائر القرآن ما يدل على ذلك وأنها مخلوقة منه كما قال الله تعالى في سورة النساء:

[الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا] {النساء: ١}

وفي الأعراف: {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} {الأعراف: ١٨٩}، وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن المرأة خلقت من ضلع الرجل فإن أردت أن تقيمها كسرتها وإن تركتها انتفعت بها واستقامت".

لفظ {جَعَلَ} يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله تعالى: {وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} وإلى مفعولين إذا كان بمعنى صير كقوله {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِائًا} {الزخرف: ١٩} والفرق بين الخلق والجعل أن الخلق فيه معنى التقدير، وفي

(١) إعراب القرآن: ١ - ٨٦.

الجعل معنى التضمين والتصيير كإنشاء شيء من شيء، وتصيير شيء شيئاً، ومنه: قوله تعالى: {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} (الأعراف: ١٨٩) وقوله {وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا} (الرعد: ٣٨) وقوله {أَجَعَلَ الْإِلَهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا} (ص: ٥) وإنما حسن لفظ الجعل ههنا لأن النور والظلمة لما تعاقبا صار كأنه كل واحد منهما إنما تولد من الآخر....." (١)

و (جعل) عند الشَّيْخ الدَّرَوِيْش بمعنى (خلق)، حيثُ قال: " جعلَ بمعنى " خلق " معطوفٌ على خلقكم، وفاعله ضميرٌ مُستترٌ، ومنها جَارٌّ ومجرورٌ مُتعلِّقانِ بجعل، وزوجها مفعولٌ به، واللامُ للتعليل، ويسكن فعل مضارع منصوبٌ وفاعله هو، وإليها جَارٌّ ومجرورٌ مُتعلِّقانِ بيسكن، والمُرَادُ بالنفسِ آدم، وتأنيث الضَّميرِ باعتبار لفظِ النفسِ.. شركاء مفعول جعلا، وله جَارٌّ ومجرورٌ مُتعلِّقانِ بمحذوفٍ حال، لأنَّهُ كَانَ في الأصلِ صفةً لشُرَكَاء.. " (٢)

رأي الباحث: أتفق مع الجمهور فيما ذهبوا إليه.

(٦) سورة التَّوْبَةِ:

* النموذج الأول:

[فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] {التوبة: ٤٠}

ظاهرُ الآيةِ يدلُّ على أَنَّ (جعل) بمعنى (صَيَّرَ) وهو ما أشار إليه العلماءُ تلميحاً، وإنَّما انصبَّ تركيزُهم على القراءةِ الواردةِ في الآيةِ فأخذوا يوجِّهونها كلُّ حسب وجهة نظره.

(١) مفاتيح الغيب: ١ - ٣٣٧، ١ - ١٧٤٢، ١ - ٢١٠٦.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٣ - ٨٦.

حيثُ قَالَ الْفَرَّاءُ: " وَقَوْلُهُ: (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى) فَأَوْقَعَ (جَعَلَ) عَلَى الْكَلِمَةِ، ثُمَّ قَالَ: (وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا) عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ، وَلَمْ تُرَدِّ بِالْفِعْلِ. وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا الشَّرْكُ بِاللَّهِ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ قَوْلُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ). وَيجوزُ (وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا) وَلَسْتُ أَسْتَحِبُّ ذَلِكَ لظهورِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ؛ لِأَنَّهُ لَوْ نَصَبَهَا - وَالْفِعْلُ فَعْلُهُ - كَانَ أَجُودَ الْكَلَامِ أَنْ يُقَالَ: " وَكَلِمَتُهُ هِيَ الْعُلْيَا"؛ أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: قَدْ أَعْتَقَ أَبُوكَ غَلَامَهُ، وَلَا يَكَادُونَ يَقُولُونَ: أَعْتَقَ أَبُوكَ غَلَامَ أَبِيكَ. وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي إِجَازَةِ ذَلِكَ:

مَتَى تَأْتِ زَيْدًا قَاعِدًا عِنْدَ حَوْضِهِ * * لِيَتَهْدَمَ ظِلْمًا حَوْضُ زَيْدٍ تَقَارِعُ. ^(١)

وَجَعَلَ عِنْدَ النَّحَّاسِ بِمَعْنَى (وَصَفَ)، حَيْثُ قَالَ: " (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى) أَيَّ وَصَفَهَا بِهَذَا، (وَكَلِمَةُ اللَّهِ) ابْتِدَاءً (هِيَ الْعُلْيَا) ابْتِدَاءً وَخَبَرًا، وَالْإِبْتِدَاءُ وَالْخَبَرُ خَبَرُ الْأَوَّلِ، وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ " الْعُلْيَا " الْخَبَرُ، وَ " هِيَ " فَاصِلَةٌ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَيَعْقُوبُ (وَكَلِمَةُ اللَّهِ) بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى الْأَوَّلِ، وَزَعَمَ الْفَرَّاءُ أَنَّ هَذَا بَعِيدٌ. قَالَ: لِأَنَّكَ تَقُولُ: أَعْتَقَ فُلَانٌ غُلَامَ أَبِيهِ وَلَا تَقُولُ: غُلَامَ أَبِي فُلَانٍ، وَقَالَ حَاتِمٌ نَحْوًا مِنْ هَذَا، قَالَ: كَانَ يَكُونُ وَكَلِمَتُهُ هِيَ الْعُلْيَا. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: الَّذِي ذَكَرَهُ الْفَرَّاءُ لَا يُشَبِّهُ الْآيَةَ وَلَكِنْ يُشَبِّهُهَا مَا أَنْشَدَهُ سَيَبَوِيه:

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا * * نَعَّصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا ^(٢)

^(١) معاني القرآن: ١ - ٤٣٨.

^(٢) الشَّاهِدُ لَعْدِي بْنِ زَيْدِ الْعَبَادِيِّ أَنْظَرَ دِيَوَانَهُ ٦٥ لَكُنَّهٗ وَرَدَّ مَنْسُوبٌ لِسَوَادَةَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ زَيْدِ الْعَبَادِيِّ فِي الْكِتَابِ: ١ - ٣٠، شَرَحَ الشُّوَاهِدُ لِلشَّنْتَمَرِيِّ: ١ - ٣٠، شَرَحَ أَدَبُ الْكَاتِبِ لِلْجَوَالِيْقِيِّ ١١٤، وَاسْتَشْهَدَ بِهِ غَيْرُ مَنْسُوبٍ فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ: ٤ - ٤٢. نَقَلَا عَنْ الْمُحَقِّقِ.

وهذا جيّدٌ حسنٌ لأنّه لا إشكال فيه بل يقول النحويون الخُذّاق: إنّ في إعادة الذّكر في مثل هذا فائدة وهي أنّ فيه معنى التّعظيم... ^(١)

وتحدّث الرّمخشري وابن عطية والفخر الرّازي والعكبري وأبو حيّان عن القراءات الواردة في هذه الآية، وهذه بعض أقوالهم في هذا الشّأن:

حيث قال العكبري مضعفاً قراءة النّصب في الآية: " (وكلمة الله) بالرفع على الابتداء، و (هي العليا) مبتدأ وخبر، أو تكون هي فصلاً ؛ وقرئ بالنّصب: أي: وجعل كلمة الله، وهو ضعيفٌ لثلاثة أوجه:

أحدها: أنّ فيه وضع الظاهر موضع المضمّر، إذ الوجه أن تقول كلمته.

والثاني: أنّ فيه دلالة على أنّ كلمة الله كانت سُفلى فصارت عُليا، وليس كذلك.

والثالث: أنّ توكيد مثل ذلك بهي بعيدٌ عن القياس إذ القياس أن يكون إياها. ^(٢).

وقد ردّ السّمين الحلبي على العكبري بقوله: " قوله: {وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا} الجمهور على رفع "كلمة" على الابتداء، و "هي" يجوز أن تكون مبتدأ ثانياً، و "العليا" خبرها، والجملة خبر الأول، ويجوز أن تكون "هي" فصلاً و "العليا" الخبر. وقرئ "وكلمة الله" بالنصب نسقاً على مفعولي جَعَلَ، أي: وجعل كلمة الله هي العليا. قال أبو البقاء: "وهو ضعيفٌ لثلاثة أوجه، أحدها: وَضَعُ الظاهر موضع المضمّر، إذ الوجه أن تقول: وكَلِمَتُهُ. الثاني: أن فيه دلالة على أنّ كلمة الله كانت سُفلى فصارت عُليا، وليس كذلك. الثالث: أن توكيد مثل ذلك بـ"هي" بعيد، إذ القياس أن يكون "إياها".

(١) إعراب القرآن: ٢ - ٢١٦.

(٢) التّبيان: ٣٠٥، ٣٠٦.

قلت: أما الأول فلا ضعف فيه لأنَّ القرآن ملآن من هذا النوع وهو مِنْ أَحْسَنِ ما يكون لأنَّ فيه تعظيماً وتقخيماً. وأمَّا الثاني فلا يلزم ما ذكر وهو أن يكون الشيء المصيرُّ على الضدِّ الخاصِّ، بل يدلُّ التَّصْيِيرُ على انتقال ذلك الشيء المصيرُّ عن صفةٍ ما إلى هذه الصفة. وأمَّا الثالث فـ"هي" ليست تأكيداً البتة إنما "هي" ضمير فصل على حالها، وكيف يكون تأكيداً وقد نَصَّ النحويون على أن المضمَر لا يؤكد المظهر؟. " (١)

وظاهرُ كلام الدُّرويش يدلُّ على أنَّ (جعل) في هذه الآية بمعنى (صير)، حيثُ قال: "الواو عاطفة أيضاً، وجعلَ فعلٌ ماضٍ، وفاعله مُسْتَتَرٌ يعودُ على الله، وكلمة مفعولٌ به، والَّذِينَ مُضَافٌ إليه، وجُملة كفروا صلة، والسُّفلى مفعولٌ به ثانٍ لجعل... " (٢)

رأي الباحث: اتَّفَقَ مع جمهور العلماء فيما ذهبوا إليه، وخاصَّةً ما ذهب إليه السَّمينُ الحلبيُّ.

* (٧) سورة يونس:

النَّمُودَجُ الأوَّل:

قوله تعالى: [هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا] [يونس: ٥]

ذهب الطبريُّ في (جامع البيان) إلى أنَّ (جعل) في هذه الآية بمعنى (أضاء وأنار)، وذهب أبو جعفر النَّحاسُ في (إعرابه) إلى أنَّها بمعنى (صير) واتَّفَقَ معه مكي بن أبي طالب في (مُشكِّله)، وابنُ الأنباريِّ في (بيانهِ)، والعُكبريُّ في (تبيانهِ)، وأبو حيان في (محيطهِ)، والسَّمينُ الحلبيُّ في (دُرِّهِ)، وابنُ عادلٍ في (لبابه). وذكر العُكبريُّ أنَّها يجوزُ أن تكون بمعنى

(١) الدَّر المصون: ١ - ٣٠٨١.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٣ - ٢١٨.

(خلق) ووافقه أبو حيَّان، بينما ذهب السَّمينُ ووافقه ابنُ عادلٍ إلى أنَّها يجوزُ أن تكونَ بمعنى (أنشأ) ^(١)، وذهب الشَّيخُ الدَّرَويشُ إلى أنَّها بمعنىين هما (صَيَّرَ، وخلق). وهذه بعضُ أقوالهم في هذا الشَّأن:

حيثُ قال الطَّبْرِيُّ: " يقول تعالى ذكره: إِنَّ رَبَّكَمَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ (هو الذي جعل الشمس ضياءً)، بالنَّهار (والقمر نورًا) بالليل. ومعنى ذلك: هو الذي أضاء الشمسَ وأنار القمرَ (وقدَّره منازل)، يقول: قضاه فسوّاه منازل، لا يجاوزها ولا يقصر دُونها، على حالٍ واحدةٍ أبداً. وقال: (وقدَّره منازل)، فوحَّده، وقد ذكر "الشمس" و"القمر"، فإن في ذلك وجهين: أحدهما: أن تكون "الهاء" في قوله: (وقدَّره) للقمر خاصة، لأن بالأهله يُعرف انقضاءُ الشهور والسنين، لا بالشمس.

والآخر: أن يكون اكتفي بذكر أحدهما عن الآخر، كما قال في موضع آخر: (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ)، (سورة التوبة: ٦٢)، وكما قال الشاعر: ^(٢)

(١) ينظر على الترتيب: جامع البيان: ١٥ - ٢٣، إعراب القرآن للنَّحَّاس: ٢ - ٥، مشكل إعراب القرآن لمكي: ١ - ٣٣٩، البيان: ١ - ٤٠٨، والتَّبيان: ٣١٤، والبحر المحيط: ٥ - ١٢٩، والدر المصون: ١ - ٣١٦٩، واللباب: ١٠ - ٢٦٥.

(٢) هو ابن أحمر، أو: الأزرق بن طرفة بن العمرد الفراسي.

رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي... بَرِيًّا، وَمِنْ جُولِ الطَّوِيِّ رَمَانِي (١) " (٢)

وقال العُكْبَرِيُّ: " قوله تعالى (جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً) مفعولان، ويجوز أن يكون ضياءً حالاً، وجعل بمعنى خلق، والتَّقْدِيرُ: ذات ضياءٍ ؛ وقيل: الشَّمْسُ هي الضياءُ... (وَالْقَمَرُ نُورًا) أي ذا نورٍ ؛ وقيل: المصدرُ بمعنى فاعل: أي مُنِيرًا (وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ) أي: وَقَدَّرَ لَهُ فَحَذَفَ حَرْفَ الْجَرِّ ؛ وقيلَ التَّقْدِيرُ: قَدَرُهُ ذَا مَنَازِلَ، وَقَدَّرَ عَلَى هَذَا مُتَعَدِّيَةً إِلَى مَفْعُولَيْنِ لِأَنَّ مَعْنَاهُ جَعَلَ وَصَيَّرَ ؛ ويجوزُ: أن يكونَ قَدَّرَ مُتَعَدِّيًّا إِلَى وَاحِدٍ بِمَعْنَى خَلَقَ وَمَنَازِلَ، حَالٌ: أي مُنْقَلَبًا. " (٣).

وقال أبو حَيَّان: " لما ذكر تعالى الدلائل على ربوبيته من إبداع هذا العالم العلوي والسُّفلي، ذكر ما أودع في العالم العلوي من هذين الجوهريين النيرين المشرقين، فجعل الشَّمْسُ ضياءً أي: ذات ضياءٍ أو مضيئة، أو نفس الضياءِ مبالغة وجعل يحتملُ أن تكونَ بمعنى صَيَّرَ، فيكونَ ضياءً مفعولاً ثانياً. ويحتملُ أن تكونَ بمعنى خلق فيكونَ حالاً، والقمر نوراً أي: ذا نور، أو منور أو نفس النور مبالغة، أو هما مصدران. وقيل: يجوز أن يكونَ ضياءً جمعَ كحوضٍ وحياض، وهذا فيه بعد. ولمَّا كانت الشمسُ أعظمَ جرماً خُصَّتْ بالضياءِ لأنَّه هو الذي له سطوعٌ ولمعانٌ، وهو أعظمُ من النُّورِ. " (٤).

(١) معاني القرآن للفراء ١: ٤٥٨، اللسان (جول)، وغيرهما. وكانت بينه وبين رجل حكومة في بئر، فقال خصمه: " إنه لص ابن لص "، فقال هذا الشعر، وبعده: دَعَانِي لَصًّا فِي لُصُوصٍ، وَمَا دَعَا... بِهَا وَالِدِي فِيمَا مَضَى رَجُلَانِ وَرَوَايَةِ الْبَيْتِ عَلَى الصَّوَابِ: " ومن أجل الطوى "، و " الطوى ": البئر. و " الجول " و " الجال " ناحية من نواحي البئر إلى أعلاها من أسفلها. نقلا عن المحقق.

(٢) جامع البيان: ١٥ - ٢٣.

(٣) التبيين: ٣١٤.

(٤) البحر المحيط: ٥ - ١٢٩.

وقال السمين الحلبي: " قوله تعالى: {ضِيَاءٌ}: إمّا مفعول ثانٍ على أنّ الجعل للتّصيير، وإمّا حالّ على أنه بمعنى الإنشاء. والجمهور على "ضياء" بصريح الياء قبل الألف، وأصلها واو لأنه من الضوء. " (١)

وقال الدرويش: " هو مبتأ، والذي خبره، وجُملة جعل صلة، وإن كان الجعل بمعنى التّصيير كانت الشمس مفعولاً أولاً وضياء مفعولاً ثانياً، وإن كان الجعل بمعنى الخلق كانت الشمس مفعولاً به، وضياء حال، والقمر نورا عطفٌ عليهما. " (٢)

رأي الباحث: أتفق مع الجمهور فيما ذهبوا إليه، وأرى أن ما ذكره الدرويش هو الوجه.

* - النموذج الثاني:

قوله تعالى: [هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ] {يونس: ٦٧}

ظاهر الآية الكريمة يدلُّ على أنّ (جعل) هنا بمعنى (صيّر) ويجوز أن تكون بمعنى (خلق وأبدع) وهو ما أشار إليه الألويسي بقوله: " هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحيده سبحانه باستحقاق العبادة فتعريف الطرفين للقصر وهو قصر تعيين وفي ذلك أيضاً تقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكوته المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه والجعل إن كان بمعنى الإبداع والخلق فمبصراً حال وإن كان معنى التّصيير فلکم المفعول الثاني أو حال كما في الوجه الأول فالمفعول الثاني لتسكنوا فيه أو هو محذوف يدل

(١) الدر المصون: ١ - ٣١٦٩.

(٢) إعراب القرآن وبيانه: ٣ - ٣٠٦.

عليه الفعول الثاني من الجملة الثانية كما أن العلة الغائية منها محذوفة اعتمادا على ما في الأولى والتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه والنهار مبصراً لتتحركوا فيه لمصالحكم فحذف من كل ما ذكر في الآخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك وفيه على هذا صنعة الاحتباك... (١)

واكتفى الطبري والزَّمَخْشَرِيُّ وابنُ عَطِيَّةٍ بتفسير الآية، ولم يشيرا إلى معنى (جعل) في هذه الآية، إلاَّ أنَّ معنى (جعل) يفهم من خلال توجيههم التفسير، حيثُ قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: إِنَّ رَبَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الَّذِي اسْتَوْجِبَ عَلَيْكُمْ الْعِبَادَةَ، هُوَ الرَّبُّ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَفَصْلَهُ مِنَ النَّهَارِ، لَتَسْكُنُوا فِيهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ فِي نَهَارِكُمْ مِنَ النَّعْبِ وَالنَّصَبِ، وَتَهْدَعُوا فِيهِ مِنَ التَّصَرُّفِ وَالْحَرَكَةِ لِلْمَعَاشِ وَالْعَنَاءِ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ بِالنَّهَارِ (والنَّهَارِ مَبْصَرًا)، يقول: :: وَجَعَلَ النَّهَارَ مَبْصَرًا، فَأُضَافَ "إِلْبَصَار" إِلَى "النَّهَارِ"، وَإِنَّمَا يُبْصَرُ فِيهِ، وَلَيْسَ "النَّهَارُ" مِمَّا يَبْصُرُ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ مَفْهُومًا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَعْنَاهُ، خَاطِبُهُمْ بِمَا فِي لُغَتِهِمْ وَكَلَامِهِمْ، وَذَلِكَ كَمَا قَالَ جَرِير:

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السَّرَى ... وَنِمْتِ، وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمٍ (٢)

فأُضَافَ "النَّوْمُ" إِلَى "اللَّيْلِ" وَوَصَفَهُ بِهِ، وَمَعْنَاهُ نَفْسُهُ، أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَائِمًا فِيهِ هُوَ وَلَا بَعِيرُهُ.

(١) روح المعاني: ١١ - ٥٤.

(٢) ديوانه: ٥٥٤، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ١ - ٧٩، من قصيدة له طويلة، أجاب بها الفرزدق.

يقول تعالى ذكره: فهذا الذي يفعل ذلك هو ربكم الذي خلقكم وما تعبدون، لا ما لا ينفع ولا يضر ولا يفعل شيئاً. ^(١).

أما أبو حيان والسَّمينُ الحلبيُّ وابنُ عادلٍ فقد انصبَّ اهتمامُهم على الحديثِ عن الحذفِ في الآيةِ الكريمةِ ودلالاته، حيثُ أبو حيان: " هذا تنبيه منه تعالى على عظيم قدرته وشمول نعمته لعباده، فهو المستحق لأن يفرد بالعبادة لتسكنوا فيه مما تقاسون من الحركة والتردد في طلب المعاش وغيره بالنهار، وأضاف الأبصار إلى النهار مجازاً، لأن الأبصار تقع فيه كما قال: ونمت وما ليل المطيِّ بنائم أي: يبصرون فيه مطالب معاشهم. وقال قطرب: يقال أظلم الليل صار ذا ظلمة، وأضاء النهار وأبصر أي صار ذا ضياء وبصر انتهى. وذكر علة خلق الليل وهي قوله: لتسكنوا فيه، وحذفها من النهار، وذكر وصف النهار وحذفه من الليل، وكل من المحذوف يدل على مقابله، والتقدير: جعل الليل مظلاً لتسكنوا فيه، والنهار مبصراً لتحركوا فيه في مكاسبكم وما تحتاجون إليه بالحركة، ومعنى تسمعون: سماع معتبر. ^(٢)."

وقال السَّمينُ الحلبيُّ: " قوله تعالى: {جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ}... الآية. انظر إلى فصاحة هذه الآية، حيث حذَف من كل جملة ما ثبت في الأخرى، وذلك أنه ذكر علة جعل الليل لنا، وهي قوله "لتسكنوا" وحذفها من جعل النهار، وذكر صفة النهار وهي قوله "مُبَصِّراً" وحذفها من الليل لدلالة المقابل عليه، والتقدير: هو الذي جعل لكم الليل مُظْلاً لتسكنوا فيه والنهار مُبَصِّراً

^(١) جامع البيان: ١٥ - ١٤٤.

^(٢) البحر المحيط: ٥ - ١٧٥.

لِلتَّحَرُّكِ فِيهِ لِمَعَاشِكُمْ، فَحَذَفَ "مُظْلَمًا" لِدَلَالَةِ "مُبْصَرًا" عَلَيْهِ، وَحَذَفَ "لِتَّحَرَّكُوا" لِدَلَالَةِ "لِتَسْكُنُوا" وَهَذَا أَفْصَحُ كَلَامٍ. ^(١)

و (جعل) عِنْدَ الشَّيْخِ الدَّرَوِيْشِ بِمَعْنِيَيْنِ هُمَا (أَبْدَعَ وَخَلَقَ، وَصَيَّرَ) حَيْثُ قَالَ: "هُوَ مُبْتَدَأٌ، وَالَّذِي خَبَرَهُ، وَجُمْلَةُ جَعَلَ صِلَةُ الْمَوْصُولِ، ثُمَّ الْجَعْلُ إِنْ كَانَ بِمَعْنَى الْإِبْدَاعِ وَالْخَلْقِ نَصَبَ مَفْعُولًا وَاحِدًا، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى التَّصْيِيرِ نَصَبَ مَفْعُولَيْنِ، وَعَلَى كُلِّ لَكُمْ مُتَعَلِّقٌ بِجَعَلَ، وَاللَّيْلُ مَفْعُولٌ بِهِ، لِتَسْكُنُوا: اللَّامُ لِلتَّلْغِيلِ، وَتَسْكُنُوا مَنْصُوبٌ بِأَنْ مُضْمَرَةٌ، وَفِيهِ مُتَعَلِّقٌ بِتَسْكُنُوا، وَالنَّهَارُ عَطْفٌ عَلَى اللَّيْلِ، وَمُبْصَرًا إِمَّا حَالٌ، وَإِمَّا مَفْعُولٌ بِهِ كَمَا تَقَدَّمَ" ^(٢)

رَأَى الْبَاحِثُ: أَتَقَى مَعَ الْأَلُوسِيِّ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ.

* (٨) سُورَةُ هُودَ:

- النَّمُودَجُ الْأَوَّلُ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ] {هود: ١١٨}

ظَاهِرُ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ (جَعَلَ) بِمَعْنَى (صَيَّرَ)، حَيْثُ قَالَ الشَّيْخُ الدَّرَوِيْشُ: " (وَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً) جَعَلَ وَمَفْعُولِيهَا، وَوَاحِدَةُ صِفَةٍ " ^(٣)

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: " (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) يَعْنِي لِاضْطِرَّهِمْ إِلَى أَنْ يَكُونُوا أَهْلَ أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ، كَقَوْلِهِ: [إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً] {الأنبياء: ٩٢} وَهَذَا الْكَلَامُ يَتَضَمَّنُ نَفْيَ الْاضْطِرَارِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَضْطُرَّهِمْ إِلَى الْإِتِّفَاقِ عَلَى دِينٍ

^(١) الذَّر الْمَصُون: ١ - ٣٢٥٠.

^(٢) إِعْرَابُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَيَانُهُ: ٣ - ٣٥٧.

^(٣) إِعْرَابُ الْقُرْآنِ وَبَيَانُهُ: ٣ - ٤١٦.

الحق، ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف، فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل، فاختلفوا، فلذلك قال: (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ) إلا ناساً هداهم الله ولطف بهم، فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه) وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ (ذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام الأول وتضمنه، يعني: ولذلك من التمكن والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم، ليثيب مختار الحق بحسن اختياره، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ) وهي قوله للملائكة [الْمَلَأْنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ] {هود: ١١٩} لعلمه بكثرة من يختار الباطل. " (١)

* (٩) سورة يوسف:

النموذج الأول:

[فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذِنَ مُؤَدِّنَ أَبَيْتُهَا الْعِيرَ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ] {يوسف: ٧٠}

ظاهرُ كلام الطبري يدلُّ على أنَّ (جعل) في هذه الآية بمعنى (وضع)، حيثُ قال: " وقوله: (جعل السقاية في رحل أخيه)، يقول: جعل الإناء الذي يكيلُ به الطعام في رَحْلِ أَخِيهِ. و"السقاية": هي المشربة، وهي الإناء الذي كان يشرب فيه الملك ويكيلُ به الطعام. " (٢). ولم يذكر الزمخشري شيئاً عن معنى (جعل) واكتفى بتفسير "السقاية". أمّا ابن عطية وأبو حيّان فمعنى (جعل) عندهما (أمر أن توضع) وتحدّث صاحب الدر المصون عن زيادة الواو في (جعل) وكذا فعل صاحب " اللباب ". وهذه بعضُ أقوالهم في هذا الشأن، حيثُ قال أبو حيّان:

(١) الكشاف: ٢ - ٤١٣.

(٢) جامع البيان: ١٦ - ١٧٢.

" والظاهر أنَّ الذي جعل السقاية في رحل أخيه هو يوسف، ويظهر من حيث كونه ملكاً أنه لم يباشر ذلك بنفسه، بل جعل غيره من فتيانه، أو غيرهم أن يجعلها. " (١) ممَّا سَبَقَ يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ مَعْنَى (جَعَلَ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ (وَضَعَ أَوْ أَمَرَ بِوَضْعِ السَّقَايَةِ فِي رَحْلِ أَخِيهِ).

* (١٠) سُورَةُ الرَّعْدِ: الْآيَةُ (٣)

[وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحَيْنِ ابْتِغَاءً لِيُغْشِيَ اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] {الرعد: ٣}

باستقراء أقوال النُّحَاةِ والمُفَسِّرِينَ ومُعَرَّبِي الْقُرْآنِ اتَّضَحَ لِي أَنَّ (جَعَلَ) الْأَوَّلَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمَعْنَى (أَرَسَى)، وَ (جَعَلَ) الثَّانِيَةَ بِمَعْنَى (خَلَقَ)، وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ، وَالزَّمَخْشَرِيُّ، وَالْفَخْرُ الرَّازِيُّ، وَأَبُو حَيَّانَ، وَالْعُكْبَرِيُّ، وَالسَّامِيُّ الْحَلَبِيُّ، وَابْنُ عَادِلٍ. وَهَذِهِ بَعْضُ أَقْوَالِهِمْ فِي هَذَا الشَّأْنِ: حَيْثُ قَالَ الطَّبْرِيُّ: " يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَاللَّهُ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ، فَبَسَطَهَا طَوْلًا وَعَرْضًا. وَقَوْلُهُ: (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ) يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَجَعَلَ فِي الْأَرْضِ جِبَالًا ثَابِتَةً. وَ"الرَّوَاسِي": جَمْعُ "رَاسِيَةٍ"، وَهِيَ الثَّابِتَةُ، يُقَالُ مِنْهُ: "أَرَسَيْتُ الْوَتِدَ فِي الْأَرْضِ": إِذَا أَثْبَتَهُ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: (٢)

بِهِ خَالِدَاتٌ مَا يَرْمَنَ وَهَامِدٌ ... وَأَشْعَتْ أُرْسَتُهُ الْوَلِيدَةَ بِالْفَهْرِ (٣)

يَعْنِي: أَثْبَتَتْهُ. وَقَوْلُهُ: (وَأَنْهَارًا) يَقُولُ: وَجَعَلَ فِي الْأَرْضِ أَنْهَارًا مِنْ مَاءٍ.

(١) البحر المحيط: ٥ - ٣٢٥.

(٢) هو الأحوص.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١ - ٣٢١. واللسان (رسا).

وقوله: (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) — (من) في قوله (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) من صلة (جعل) الثاني لا الأول.

ومعنى الكلام: وجعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات. وعنى بـ (زوجين اثنين): من كل ذكر اثنان، ومن كل أنثى اثنان، فذلك أربعة، من الذكور اثنان، ومن الإناث اثنان في قول بعضهم. وقد بينا فيما مضى أن العرب تسمى الاثنين: (زوجين)، والواحد من الذكور "زوجاً" لأنثاه، وكذلك الأنثى الواحدة "زوجاً" و"زوجة" لذكرها، بما أغمى عن إعادته في هذا الموضع. ويزيد ذلك إيضاحاً قول الله عز وجل: (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى) (سورة النجم: ٤٥) فسمى الاثنين الذكر والأنثى (زوجين). وإنما عنى بقوله: (زوجين اثنين)، نوعين وضربين. وقوله: (يغشى الليل النهار)، يقول: يجلّ الليلُ النهارَ فيلبسه ظلمته، والنهارُ الليلَ بضياءه... " (١) وقال الزمخشري: " (جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) خلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها، ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت. وقيل: أراد بالزوجين: الأسود والأبيض، والحلو والحامض، والصغير والكبير، وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة) يَغْشَى وَهُوَ الَّذِي (يلبسه مكانه، فيصير أسود مظلماً بعد ما كان أبيض منيراً". (٢). وقال الفخر الرازي: " اعلم أنه تعالى لما قرر الدلائل السماوية أردفها بتقرير الدلائل الأرضية فقال: {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ}. واعلم أن الاستدلال بخلقه الأرض وأحوالها من وجوه...

والنوع الثاني: من الدلائل الاستدلال بأحوال الجبال وإليه الإشارة بقوله: {وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ} من فوقها ثابتة باقية في أحيازها غير منتقلة عن أماكنها يقال: رسا هذا الودد وأرسيته والمراد ما ذكرنا.

(١) جامع البيان: ١٦ - ٣٢٨.

(٢) الكشاف: ٢ - ٤٨٢.

واعلم أن الاستدلال بوجود الجبال على وجود الصانع القادر الحكيم من وجوه، الأول:
أن طبيعة الأرض واحدة فحصول الجبل في بعض جوانبها دون البعض لا بد وأن يكون
بتخليق القادر الحكيم....^(١) وقال العُكْبَرِيُّ: " وقوله تعالى (وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) فيه ثلاثة
أوجه: أحدها: أن يكونَ مُتَعَلِّقاً بجعلِ الثَّانِيَةِ، والتَّقْدِيرُ: وجعلَ فيها زوجين اثنين من كُلِّ
الثَّمَرَاتِ. والثَّانِي: أن يكونَ حالاً من اثنين وهو صفةٌ له في الأصلِ. والثَّالِثُ: أن يتعلَّقَ بجعلِ
الأوَّلِي، ويكونُ جعلِ الثَّانِي مُسْتَأْنَفاً... " ^(٢).

وقال الشَّيْخُ الدَّرَوِيْشُ: " وجعلَ عطفٌ على مدٍّ وفيها مُتَعَلِّقَانِ بجعل، ورواسي مفعولٌ
به، وأنهاراً عطفٌ عليه (وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يجوزُ في هذا الجارِ
والمجرورِ أن يتعلَّقَ بجعل بعده، والتَّقْدِيرُ: وجعلَ فيها زوجين اثنين من كُلِّ الثَّمَرَاتِ، ويجوزُ
أن يتعلَّقَ بمحذوفٍ على أنه حالٌ من اثنين ؛ لأنَّه في الأصلِ صفةٌ له، ويجوزُ أن يتمَّ الكلامُ
عند قوله (من كُلِّ الثَّمَرَاتِ)، فيتعلَّقُ بجعلِ الأوَّلِي، والتَّقْدِيرُ: أنه جعلَ في الأرضِ كذا وكذا،
ومن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ويكونُ جعلِ الثَّانِي مُسْتَأْنَفاً، وفيها مُتَعَلِّقَانِ بجعل على كُلِّ حالٍ، وزوجين
مفعول جعل، واثنين صفة لزوجين. " ^(٣)

رأي الباحث: باستقراء أقوال النحاة والمفسرين ومعربي القرآن اتضح لي أن (جعل)
الأولى في هذه الآية بمعنى (أرسى)، و (جعل) الثانية بمعنى (خلق). وأنا أتنق معهم فيما
ذهبوا إليه.

(١) مفاتيح الغيب: ١ - ٢٥٧٥.

(٢) التبيان: ٣٥٠.

(٣) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤ - ٦٥.

* (١١) سورة النحل:

النموذج الأول:

[وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ] {النحل: ٧٢}

باستقراء أقوال النحاة والمفسرين ومعربي القرآن اتضح لي أن (جعل) الأولى في هذه الآية بمعنى (خلق)، و (جعل) الثانية بمعنى (خلق) أيضاً، وهو ما ذكره الطبري، والزمخشري، وابن عطية، وأبو حيّان،، والسّمين الحلبي، وابن عادل، والألوسي. وقد اختلفت آراؤهم حول كلمة (وحفدة)، وهذه بعض أقوالهم في هذا الشأن: حيث قال الطبري: " يقول تعالى ذكره (وَاللَّهُ) الذي (جَعَلَ لَكُمْ) أيها الناس (مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) يعني أنه خلق من آدم زوجته حواء، (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً).

... عن قتادة (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا): أي والله خلق آدم، ثم خلق زوجته منه ثم جعل لكم بنين وحفدة. واختلف أهل التأويل في المعنيين بالحفدة، فقال بعضهم...

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنَّ الله تعالى أخبر عباده معرفهم نعمه عليهم، فيما جعل لهم من الأزواج والبنين، فقال تعالى (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) فأعلمهم أنه جعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة، والحفدة في كلام العرب: جمع حافد، كما الكذبة: جمع كاذب، والفسقة: جمع فاسق. والحافد في كلامهم ؛ هو المتخفّف في الخدمة والعمل. والحفد: خفة العمل يقال: مرّ البعير يحفد حفدانا: إذا مرّ يسرع في سيره. ومنه قولهم: "إليك نسعى ونحفد": أي نسرع إلى العمل بطاعتك. يقال منه: حفد له يحفد حفدا وحفودا وحفدانا ومنه قول الراعي:

كَلَّفْتُ مَجْهُولَهَا نُوقًا يَمَانِيَّةً ... إِذَا الْحَدَاةُ عَلَى أَكْسَائِهَا حَفَدُوا

وإذ كان معنى الحفدة ما ذكرنا من أنهم المسرعون في خدمة الرجل، المتخففون فيها، وكان الله تعالى ذكره أخبرنا أن مما أنعم به علينا أن جعل لنا حفدة تحفد لنا، وكان أولادنا وأزواجنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا وأختاننا الذين هم أزواج بناتنا من أزواجنا وخدمنا من ممالئنا إذا كانوا يحفدوننا، فيستحقون اسم حفدة، ولم يكن الله تعالى دلّ بظاهر تنزيله، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ ولا بحجة عقل، على أنه عنى بذلك نوعاً من الحفدة، دون نوع منهم، وكان قد أنعم بكلّ ذلك علينا، لم يكن لنا أن نوجه ذلك إلى خاص من الحفدة دون عام، إلا ما اجتمعت الأمة عليه أنه غير داخل فيهم. وإذا كان ذلك كذلك فلكلّ الأقوال التي ذكرنا عن ذكرنا وجه في الصحة، ومُخْرَج في التأويل. وإن كان أولى بالصواب من القول ما اخترنا، لما بيّنا من الدليل. " (١).

وقال الرّمخسريُّ: " والله جعل لكم.....(مَنْ أَنْفَسِكُمْ) من جنسكم. وقيل: هو خلق حواء من ضلع آدم.

والحفدة: جمع حافد، وهو الذي يحفد، أي يسرع في الطاعة والخدمة. ومنه قول القانت. وإليك نسعى ونحفد وقال:

حَفَدَ الْوَلَايِدَ بَيْنَهُنَّ وَأُسْلِمَت * * بِأَكْفِهِنَّ أَرْمَةَ الْأَجْمَالِ

واختلف فيهم ففيل: هم الأختان على البنات وقيل: أولاد الأولاد، وقيل: أولاد المرأة من الزوج الأول، وقيل: المعنى وجعل لكم حفدة، أي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم

(١) جامع البيان: ١٧ - ٢٥٣، ٢٥٨، ٢٥٩.

ويجوز أن يراد بالحفدة: البنون أنفسهم ؛ كقوله: (سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) (النحل: ٦٧) كأنه قيل: وجعل لكم منهنّ أولاداً هم بنون وهم حافدون، أي جامعون بين الأمرين. " (١)

وقال الفخر الرّازي: " اعلم أن هذا نوع آخر من أحوال الناس، ذكره الله تعالى ليستدل به على وجود الإله المختار الكريم، وليكون ذلك تنبيهاً على إنعام الله تعالى على عبده بمثل هذه النعم، فقوله: {جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} قال بعضهم: المراد أنه تعالى خلق حواء من ضلع آدم، وهذا ضعيف، لأن قوله: {جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} خطاب مع الكل، فتخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل، بل هذا الحكم عام في جميع الذكور والإناث. والمعنى: أنه تعالى خلق النساء ليتزوج بهن الذكور، ومعنى: {مِّنْ أَنْفُسِكُمْ} مثل قوله: {فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} (البقرة: ٥٤) وقوله: {فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ} (النور: ٦١) أي بعضكم على بعض، ونظير هذه الآية قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} (الروم: ٢١) ... " (٢). رأي الباحث: جعل في الموضوعين بمعنى (خلق) .

* النَّمُودَج الثاني:

قوله تعالى: [وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] {النحل: ٧٨}

جعل في هذه الآية عند الرّمخشريّ بمعنى (رَكَّبَ لكم)، وعند ابن الجوزيّ بمعنى (خلق)، وعند الفخر الرّازيّ، وابن عادل بمعنى (أعطى)، وهي عند الألوسي تصلح لمعنيين، الأوّل بمعنى (خلق)، والثّاني بمعنى (صَيَّرَ)، وهذه بعض أقوالهم في هذا الشّأن، حيث قال

(١) الكشّاف: ٢ - ٥٧٩.

(٢) مفاتيح الغيب: ١ - ٢٧٣٧.

الرَّمْخَشَرِيُّ: " (لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) فِي مَوْضِعِ الْحَالِ. وَمَعْنَاهُ: غَيْرِ عَالِمِينَ شَيْئًا مِنْ حَقِّ الْمَنْعَمِ الَّذِي خَلَقَكُمْ فِي الْبُطُونِ، وَسَوَاكُمْ وَصَوَّرَكُمْ، ثُمَّ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الضِّيقِ إِلَى السَّعَةِ. وَقَوْلُهُ: (وَجَعَلَ لَكُمْ) مَعْنَاهُ: وَمَا رَكِبَ فِيكُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ إِلَّا آلَاتٌ لِإِزَالَةِ الْجَهْلِ الَّذِي وَلَدْتُمْ عَلَيْهِ وَاجْتِلَابِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ، مِنْ شُكْرِ الْمَنْعَمِ، وَعِبَادَتِهِ، وَالْقِيَامِ بِحَقُوقِهِ، وَالتَّرْقِيِ إِلَى مَا يَسْعِدُكُمْ. وَالْأَفْنَدَةُ فِي فَوَادٍ، كَالْأَغْرِبَةِ فِي غَرَابٍ، وَهُوَ مِنْ جُمُوعِ الْقَلَةِ الَّتِي جَرَتْ مَجْرَى جُمُوعِ الْكَثَرَةِ، وَالْقَلَةُ إِذَا لَمْ يَرِدْ فِي السَّمَاعِ غَيْرُهَا، كَمَا جَاءَ شَسُوعُ فِي جَمْعِ شَسَعَ لَا غَيْرَ، فَجَرَتْ ذَلِكَ الْمَجْرَى. " (١).

وَقَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: " قَالَ تَعَالَى: {وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ} {وَالْمَعْنَى: أَنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ لَمَّا كَانَتْ فِي أَوَّلِ الْخَلْقَةِ خَالِيَةً عَنِ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ بِاللَّهِ، فَاللَّهُ أَعْطَاهُ هَذِهِ الْحَوَاسِ لِيَسْتَفِيدَ بِهَا الْمَعَارِفَ وَالْعُلُومَ... فَإِنْ قِيلَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ} عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ: {أَخْرَجَكُمْ} وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ جَعَلَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ مُتَأَخِّرًا عَنِ الْإِخْرَاجِ مِنَ الْبُطْنِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ.

وَالْجَابِ: أَنْ حَرَفَ الْوَاوِ لَا يُوْجِبُ التَّرْتِيبَ ؛ وَأَيْضًا إِذَا حَمَلْنَا السَّمْعَ عَلَى الْاسْتِمَاعِ وَالْأَبْصَارِ عَلَى الرُّؤْيَا زَالَ السُّؤَالُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. " (٢). وَقَالَ الْأَلُوسِيُّ: " وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ جُمْلَةً ابْتِدَائِيَّةً وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى الْجُمْلَةِ الْوَاقِعَةِ خَبْرًا وَالْوَاوِ لَا تَقْتَضِي التَّرْتِيبَ وَنَكْتَةُ تَأْخِيرِهِ أَنَّ السَّمْعَ وَنَحْوَهُ مِنْ آلَاتِ الْإِدْرَاقِ إِنَّمَا يَعْتَدُ بِهِ إِذَا أَحْسَ وَأَدْرَكَ وَذَلِكَ بَعْدَ الْإِخْرَاجِ وَجَعَلَ إِنْ تَعَدَّى لَوَاحِدٌ بِأَنْ كَانَ بِمَعْنَى خَلَقَ فَلَكُمْ مُتَعَلِّقٌ بِهِ وَإِنْ تَعَدَّى لِاثْنَيْنِ بِأَنْ كَانَ بِمَعْنَى صَوَّرَ فَهُوَ مَفْعُولُهُ الثَّانِي وَتَقْدِيمُ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ

(١) الْكَشَّافُ: ٢ - ٥٨٣.

(٢) مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ: ١ - ٢٧٤١،

على المنصوبات لما مر غير مرّة. والمعنى جعل لكم هذه الأشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة... " (١).

وقال الشيخ الدرويش: "وجعل عطف على أخرجكم، والفاعل مُستتر تقديره هو، ولكم في موضع المفعول الثاني لجعل، والسَّمْع مفعوله الأول والأبصار والأفئدة عطف عليه." (٢)
رأي الباحث: وأنا أرى أنها بمعنى (خلق) ويجوز أن تكون بمعنى (صير) وهو ما ذهب إليه الألوسي في توجيهه للآية.

* - النموذج الثالث:

قوله تعالى: [وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ] {النحل: ٨٠}

قال الفراء: " وقوله (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ) يعني الفساطيط للسفر، وبيوت العرب التي من الصوف والشعر... " (٣). وذكر صاحب زاد المسير أن (جعل) بمعنى (خلق)، وذكر السمين الحلبي أنها بمعنى (صير، وخلق)، وذكر الزمخشري تفسير السكن والبيوت، وتحدث الفخر الرازي عن أنواع البيوت عند العرب، وانتقد أبو حيان رأي ابن عطية. وهذه بعض أقوالهم في هذا الشأن:

(١) روح المعاني: ١٤ - ٢٠١.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤ - ٢٨٣.

(٣) معاني القرآن: ٢ - ١١١، ١١٢.

حَيْثُ قَالَ الرَّمَّحَشَرِيُّ: " وَاللَّهِ جَعَلَ لَكُمْ (مِنْ بُيُوتِكُمْ) الَّتِي تَسْكُنُونَهَا مِنَ الْحَجَرِ وَالْمَدْرِ وَالْأَخْبِيَةِ وَغَيْرِهَا. وَالسَّكَنُ: فَعْلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٌ، وَهُوَ مَا يَسْكُنُ إِلَيْهِ وَيَنْقَطِعُ إِلَيْهِ مِنْ بَيْتٍ أَوْ إِلَفٍ (بُيُوتًا) هِيَ الْقَبَابُ وَالْأَبْنِيَّةُ مِنَ الْأَدَمِ وَالْأَنْطَاعِ (تَسْتَخْفُونَهَا) تَرُونَهَا خَفِيفَةً الْمَحْمَلُ فِي الضَّرْبِ وَالنَّقْضِ وَالنَّقْلِ (يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ) أَيُ يَوْمَ تَرْحَلُونَ خَفَ عَلَيْكُمْ حَمْلُهَا وَثِقْلُهَا، وَيَوْمَ تَنْزِلُونَ وَتَقِيمُونَ فِي مَكَانٍ لَمْ يَثْقُلْ عَلَيْكُمْ ضَرْبُهَا. أَوْ هِيَ خَفِيفَةٌ عَلَيْكُمْ فِي أَوْقَاتِ السَّفَرِ وَالْحَضَرِ جَمِيعًا، عَلَى أَنَّ الْيَوْمَ بِمَعْنَى الْوَقْتُ (وَمَتَاعًا) وَشَيْئًا يَنْتَفِعُ بِهِ (إِلَى حِينٍ) إِلَى أَنْ تَقْضُوا مِنْهُ أَوْطَارَكُمْ. أَوْ إِلَى أَنْ يَبْلَى وَيَفْنَى أَوْ إِلَى أَنْ تَمُوتُوا... " (١). وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: " قَوْلُهُ تَعَالَى (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا) أَيُ مَوْضِعًا تَسْكُنُونَ فِيهِ وَهِيَ الْمَسَاكِنُ الْمُتَّخَذَةُ مِنَ الْحَجَرِ وَالْمَدْرِ تَسْتُرُ الْعُورَاتِ وَالْحَرَمَ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَشَبَ وَالْمَدْرَ وَالْآلَةَ الَّتِي بِهَا يُمْكِنُ بِنَاءُ الْبَيْتِ وَتَسْقِيفُهُ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا وَهِيَ الْقَبَابُ وَالْخِيَمُ الْمُتَّخَذَةُ مِنَ الْأَدَمِ تَسْتَخْفُونَهَا أَيُ يَخْفَى عَلَيْكُمْ حَمْلُهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ... " (٢)

وَقَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: " وَاعْلَمْ أَنَّ الْبُيُوتَ الَّتِي يَسْكُنُ الْإِنْسَانُ فِيهَا عَلَى قِسْمَيْنِ:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: الْبُيُوتُ الْمُتَّخَذَةُ مِنَ الْخَشَبِ وَالطِّينِ وَالْآلَاتِ الَّتِي بِهَا يُمْكِنُ تَسْقِيفُ الْبُيُوتِ، / وَإِلَيْهَا الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا} وَهَذَا الْقِسْمُ مِنَ الْبُيُوتِ لَا يُمْكِنُ نَقْلُهُ، بَلِ الْإِنْسَانُ يَنْتَقِلُ إِلَيْهِ.

وَالْقِسْمُ الثَّانِي: الْقَبَابُ وَالْخِيَامُ وَالْفَسَاطِيطُ، وَإِلَيْهَا الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخْفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ} وَهَذَا الْقِسْمُ مِنَ الْبُيُوتِ يُمْكِنُ نَقْلُهُ وَتَحْوِيلُهُ

(١) الْكَشَّافُ: ٢ - ٥٨٣.

(٢) زَادُ الْمَسِيرِ: ٤ - ٤٧٦.

من مكان إلى مكان. واعلم أن المراد الأنطاع، وقد تعمل العرب البيوت من الأدم وهي جلود الأنعام أي يخف عليكم حملها في أسفاركم....

فإن قيل: عطف المتاع على الأثاث والعطف يقتضي المغايرة، وما الفرق بين الأثاث والمتاع؟

قلنا: الأقرب أن الأثاث ما يكتسي به المرء ويستعمله في الغطاء والوطاء، والمتاع ما يفرش في المنازل ويزين به./ اعلم أن الإنسان إما أن يكون مقيماً أو مسافراً، والمسافر إما أن يكون غنياً يمكنه استصحاب الخيام والفساطيط، أو لا يمكنه ذلك فهذه أقسام ثلاثة:

أما القسم الأول: فإليه الإشارة بقوله: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنَ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا}.

وأما القسم الثاني: فإليه الإشارة بقوله: {وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا} وأما القسم الثالث: فإليه الإشارة بقوله: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا} وذلك لأن المسافر إذا لم يكن له خيمة يستظل بها فإنه لا بد وأن يستظل بشيء آخر كالجدران والأشجار وقد يستظل بالغمام كما قال: {وَوَظَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ} (البقرة: ٥٧)....^(١).

وقال أبو حيّان: " وليس السكن بمصدر كما ذهب إليه ابن عطية، وكأنه تعالى ذكر أولاً ما غالب البيوت عليه من كونها لا تنقل، بل ينتقل الناس إليها. ثم ذكر ثانياً ما من به علينا من المتخذ من جلود الأنعام، وهو ما ينتقل من القباب والخيام والفساطيط التي من الأدم، أو ذكر أولاً البيوت على طريق العموم، ثم ذكر بيوت الجلود خصوصاً تنبيهاً على حال أكثر العرب، فإنهم لانتجاعهم إنما بيوتهم من الجلود، والظاهر أنه لا يندرج في البيوت التي من جلود الأنعام بيوت الشعر، وبيوت الصوف والوبر. وقال ابن سلام: تندرج لأنها ثابتة فيها،

(١) مفاتيح الغيب: ١ - ٢٧٤٣.

فهي منها. ومعنى تستخفونها: تجدونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل. يوم ظعنكم: يوم ترحلون خف عليكم حملها ونثناها، ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم ينقل عليكم ضربها. وقد يراد بالاستخفاف في وقتي السفر والحضر أي: مدة النجعة والإقامة... والظاهر أنّ أثاثاً مفعول، والتقدير: وجعل من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً. وقيل: أثاثاً منصوب على الحال على أنّ المعنى: جعل من أصوافها وأوبارها وأشعارها بيوتاً، فيكون ذلك معطوفاً على من جلود الأنعام، كما تقول: جعلت لك من الماء شراباً ومن اللبن، وفي التقدير الأول يكون قد عطف مجروراً على مجرور، ومنصوباً على منصوب كما تقول: ضربت في الدار زيداً وفي القصر عمراً، ^(١)

وقال السمين الحلبي: "قوله تعالى: {سَكَنَّا}: يجوز أن يكون مفعولاً أول، على أنّ الجَعَلَ تصييرٌ، والمفعول الثاني أَحَدُ الجَارَيْنِ قبله. ويجوز أن يكون الجَعَلَ بمعنى الخَلْقِ فيتعدى لواحد. وإنما وَحَدَ السَّكَنَ لأنه بمعنى ما تَسْكُونُ فيه، قاله أبو البقاء: وقد يُقال: إنه في الأصل مصدرٌ، وإليه ذهب ابن عطية فتوحيده واضح. إلا أنّ الشيخ منع كونه مصدرًا، ولم يذكر وَجْهَ المنع، وكأنه اعتمد على قول أهل اللغة أن "السَّكَنَ" فَعَلَ بمعنى مَفْعُولٍ كَالْقَبْضِ والنَّقْضِ بمعنى المقبوض والمنقوض، وأنشد الفراء:

جاء الشتاء وَلَمَّا أَتَخَذَ سَكَنًا * يا ويح نفسي مِنْ حَفَرِ القراميصِ

قوله: {أَثَاتًا} فيه وجهان، أحدهما: أنه منصوبٌ عطفاً على "بيوتاً"، أي "وَجَعَلَ لَكُمْ من أصوافها أثاثاً، وعلى هذا فيكون قد عطف مجروراً على مجرور ومنصوباً على منصوب، ولا فَضْلَ هنا بين حرفِ العطفِ والمعطوف حينئذٍ. وقال أبو البقاء: "وقد فَضَّلَ بينه وبين حرفِ العطفِ بالجارِ والمجرور وهو قوله {وَمِنْ أَصَوَافِهَا}، وهو ليس بفصيحٍ مستقبَحٍ كما زعم

(١) البحر المحيط: ٥ - ٥٠٧.

في "الإيضاح"؛ لأنَّ الجارَّ والمجرورَ مفعول، وتقديمُ / مفعولٍ على مفعولٍ قياسٌ. وفيه نظرٌ؛ لما عَرَفَتْ من أنه عَطَفُ مجرورٍ على مثله ومنصوبٍ على مثله.

والثاني: أنه منصوبٌ على الحال، ويكون قد عَطَفَ مجروراً على مثله، تقديره: وجعل لكم من جلود الأنعام ومن أصوافِها وأوبارِها وأشعارِها بيوتاً حال كونها أثاثاً، ففصل بالمفعول بين المتعاطفين. وليس المعنى على هذا، إنما هو على الأول. ^(١)

وقال الشَّيْخُ الدَّرَوِيْشُ: " والله مبتدأ، وجملة جعل خبر مفعوله الأول سكناً ومفعوله الثاني أحدُ الجارين، والثاني حالٌ، لأنَّه كان صفةً لسكناً، وتقدَّم عليه وإذا كانت جعل بمعنى خلق تعلَّق أحدُ الجارين به، واكتفى بمفعولٍ واحدٍ. " ^(٢)

وأنا أنفق مع السَّمينِ الحلبيِّ فيما ذهب إليه.

* - النموذج الرابع:

[وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ] {النحل: ٨١}

لم يتعرَّض الفراء لمعاني (جعل) في هذه الآية، وإنما اكتفى بقوله: " وقوله: (سَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ) ولم يقل البرد، وهي تقي الحرَّ والبرد، فترك لأنَّ معناه معلومٌ - والله أعلم - كقول الشاعر:

وما أدري إذا يَمَمْتُ وجهاً * * أريد الخير أيُّهما يليني

(١) الدر المصون: ١ - ٣٧٤١.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ١٤ - ٢٨٣.

يُرِيدُ أَيَّ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ يَلِينِي لِأَنَّهُ إِذَا أَرَادَ الْخَيْرَ فَهُوَ يَتَّقِي الشَّرَّ ... " (١)

و (جعل) في قوله تعالى: (وَجَعَلَ لَكُم سَرَائِيلَ تَفِيكُمُ...) عند أبي جعفر النَّحَّاسِ

بمعنى

(خلق)، حيثُ قَالَ: " أَي: خَلَقَ لَكُمْ مَا تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَرَائِيلَ وَأَقْدَرَكُمْ عَلَى عَمَلِهِ وَرُويَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَرَأَ (كَذَلِكَ تَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ) وَرَفَعَ النِّعْمَةَ (لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ) بِفَتْحِ التَّاءِ وَاللَّامِ. " (٢)

وَاكْتَفَى الزَّمْخَشَرِيُّ، وَابْنُ عَطِيَّةَ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ، وَالْفَخْرُ الرَّازِيُّ، وَأَبُو حَيَّانَ، وَالسَّمِينُ الْحَلْبِيُّ، وَابْنُ عَادِلٍ بِتَفْسِيرِ الْآيَةِ وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِمَعْنَى (جَعَلَ) فِيهَا.

رَأَى الْبَاحِثُ: أَرَى أَنَّ جَعَلَ تَحْتَمِلُ عِدَّةَ مَعَانٍ: صَيَّرَ، خَلَقَ، صَنَعَ، أَنْشَأَ.

* (١٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ :

قوله تعالى: [أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا] {الإسراء: ٩٩}

اهتم النُّحَاةُ وَالْمُفَسِّرُونَ وَمَعَرَّبُو الْقُرْآنِ بِتَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِدَلَالَةِ (جَعَلَ) فِيهَا. وَظَاهَرِ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ (جَعَلَ) بِمَعْنَى (صَيَّرَ) أَي مُتَعَدِّيةً لِمَفْعُولَيْنِ، وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ الدَّرَوِيشُ عِنْدَمَا تَعَرَّضَ لِإِعْرَابِ هَذِهِ الْآيَةِ، حَيْثُ قَالَ: " الْوَائِ عَاطِفَةٌ، وَجَعَلَ مَعْطُوفٌ عَلَى أَوَّلِمَ يَرَوْا ؛ لِأَنَّهُ فِي تَقْدِيرٍ: قَدْ رَأَوْا، وَالْمَعْنَى قَدْ عَلِمُوا بِالْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى

(١) معاني القرآن: ٢ - ١١٢.

(٢) إعراب القرآن: ٢ - ٤٠٥.

خلقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ هو قادرٌ على خلقِ أمثالهم وجعلِ أجلَ لهم، ولهم مُتعلِّقَانِ بمحذوف
جعلِ الثَّانِي، وأجلاً، مفعول جعل الأول... " (١)

* (١٣) سورة مريم:

[فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا] {مريم: ٢٤}

اكتفى الفراء، والطبري، والنَّحَّاسُ، ومكي، والرَّمْخَشَرِيُّ، وابنُ الجوزي، والفخر الرَّازي،
وأبو حيَّان، والألوسي، بتفسير الآية وذكر القراءات الواردة في قوله تعالى (مِنْ) وتوجيهها،
والمقصود بقوله تعالى (سَرِيًّا)، ولم يتعرَّضوا لمعنى (جعل) في الآية، وهذه بعضُ أقوالهم في
هذا الشَّان:

إذ صرح السَّمِينُ الحلبيُّ ووافقه ابنُ عادل بأن (جعل) في هذه الآية بمعنيين هما
(خلق، أو صيَّر)، وذكر الشَّيْخُ الدَّرَوِيْشُ أَنَّهَا بمعنى (صَيَّرَ)، وهذه بعضُ أقوالهم في هذا
الشَّان: حيثُ قَالَ السَّمِينُ الحلبيُّ: "قوله: {مِنْ تَحْتِهَا}: قرأ الأخوان ونافع وحفص بكسر ميم
"مِنْ"، وَجَرَّ "تَحْتِهَا" على الجار والمجرور. والباقون بفتحها ونصب "تَحْتِهَا". فالقراءة الأولى
تقتضي أن يكونَ الفاعلُ في "نادى" مضمرًا وفيه تأويلان، أحدهما: هو جبريل ومعنى كونه
{مِنْ تَحْتِهَا} أنه في مكانٍ أسفلَ منها. ويُدلُّ على ذلك قراءةُ ابنِ عباس "فناداها مَلَكٌ مِنْ تَحْتِهَا:
فَصَرَّحَ بِهِ. و {مِنْ تَحْتِهَا} على هذا فيه وجهان أحدهما: أنه متعلِّقٌ بالنداء، أي: جاء النداء
مِنْ هذه الجهة. والثاني: أنه حالٌ من الفاعل، أي: فناداها وهو تَحْتِهَا.

وثاني التأويلين: أنَّ الضمير لعيسى، لأي: فناداها المولودُ مِنْ تحت ذَيْلِهَا. والجارُّ فيه
الوجهان: مِنْ كونه متعلِّقًا بالنداء، أو بمحذوفٍ على أنه حالٌ. والثاني أوضح.

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤ - ٤١٦.

والقراءة الثانية: تكون فيها "مَنْ" موصولةً، والظرفُ صلَّتها، والمرادُ بالموصول: إمَّا جبريلُ، وإمَّا عيسى.

قوله: {أَلَّا تَحْزَنِي} يجوزُ في "أَنَّ" تكونُ مفسرةً لتقدُّمِها ما هو بمعنى القول، و "لا" على هذا ناهيةً، وحذُفُ النونِ للجزم؛ وَأَنَّ تكونَ الناصبةً و "لا" حينئذٍ نافيةً، وحذُفُ النونِ للنصب. ومَحَلَّ "أَنَّ": إمَّا نصب أو جرٌّ لأنها على حذُفِ حرفِ الجر، أي: فنأداها بكذا. والضمير في "تحتها": إمَّا لمريمَ عليها السلام، وإمَّا للنخلة، والأوَّلُ أَوْلَى لتوافقِ الضميرين.

قوله: "سَرِيًّا" يجوزُ أَنْ يكونَ مفعولاً أولً، و "تحتك" مفعولٌ ثانٍ لأنها بمعنى صَيَّرَ. ويجوزُ أَنْ تكونَ بمعنى خَلَقَ، فتكون "تحتك" لغواً.

والسَّرِيُّ فيه قولان، أحدهما: أنه الرجلُ المرتفعُ القَدْرُ، مِنْ سَرَوْ يَسْرُو كَشَرُفٍ يَشْرُفُ، فهو سَرِيٌّ. وأصله سَرِيوٌ، فأَعْلَلَ إِعْلَالَ سَيِّدٍ، فلامُه واوٌ. والمرادُ به في الآية عيسى بن مريم عليه السلام، ويُجمع "سَرِيٌّ" على "سَرَاةٍ" بفتح السين، وسُرَّوَاءٍ كظُرَّفَاءٍ، وهما جمعان شاذَّان، بل قياسُ جُضمِّه "أَسْرِيَّتٌ"، كغَنِيٍّ وَأَغْنِيَاءٍ. وقيل: السَّرِيُّ: مَنْ سَرَوْتُ الثوبَ، أي: نَزَعْتُهُ، وسَرَوْتُ الْجُلَّ عن الفَرَسِ، أي: نَزَعْتُهُ. كَأَنَّ السَّرِيَّ سَرَى ثوبه، بخلاف المُدَثِّرِ والمُتَرَمِّلِ. قاله الراغب.

والثاني: أنه النهرُ الصغير، ويناسبُه "فكُلي واشربي" واشتقاقه مِنْ سَرَى يَسْرِي، لأنَّ الماءَ يَسْرِي فيه، فلامُه على هذا ياء، وأنشدوا للبيد:

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ فَصَدَّعَا * مَسْجُورَةً مُتَجَاوِزًا قُلَامُهَا. ^(١)

رأى الباحث: أنَّق مع السَّمين وابنِ عادل والدُّرويش فيما ذهبوا إليه.

(١) الدُّر المصون: ١ - ٣٩٧٩، ٣٩٨٠.

* (١٤) سورة طه: الآية (٥٣)

قوله تعالى: [الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى] {طه: ٥٣}

اكتفى النَّحَّاسُ، وابنُ عطية، وابنُ الجوزي، والفخر الرَّازي بتفسير الآية وبتوجيه القراءة الخاصة في قوله (مهذا)، ولم يتعرضوا لمعنى جعل في الآية. وذهب الطَّبْرِيُّ، والزَّمَخْشَرِيُّ، وأبو حيان إلى أَنَّ (جعل) بمعنى (مَهَّدَ). وظاهر كلام الدَّرويش يدلُّ على أَنَّها بمعنى (صَيَّرَ)، وهذه بعضُ أقوالهم في هذا الشَّانِ:

حيثُ قال الطَّبْرِيُّ: " اختلف أهل التأويل في قراءة قوله(مَهَّدًا) فقرأته عامة قرَّاء المدينة والبصرة (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهَادًا) بكسر الميم من المِهَاد وإلحاق ألف فيه بعد الهاء، وكذلك عملهم ذلك في كلِّ القرآن وزعم بعض من اختار قراءة ذلك كذلك، أنه إنما اختاره من أجل أن المِهَاد: اسم الموضع، وأن المهد الفعل، قال: وهو مثل الفرش والفراش. وقرأ ذلك عامة قرَّاء الكوفيين(مَهَّدًا) بمعنى: الذي مهد لكم الأرض مهذا.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار مشهورتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيها. " (١)

وقال السَّمينُ الحلبيُّ: " والمَهْدُ: ما يُهَيَّأ للصَّبي أن يَرْبَى فيه، مِنْ مَهَّدَتْ له المكانَ أي: وَطَّأَتْه وَلَيَّنَّتْهُ له، وفيه احتمالان، أحدهما: أن يكونَ أصلُه المصدر، فسُمِّيَ به المكانُ، وأن يكونَ بنفسه اسمَ مكانٍ غيرَ مصدرٍ، وقد فُريءَ مَهْدًا ومِهَادًا في طه... قوله: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ}: في هذا الموصول وجهان، أحدهما: أنه خبرٌ مبتدأ مضمَّر، أو منصوبٌ بإضمار

(١) جامع البيان: ٤ - ٦٨٧.

"أمدح"، وهو على هذين التقديرين مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى لَا مِنْ كَلَامِ مُوسَى، وإنما اختجنا إلى ذلك لِأَنَّ قَوْلَهُ {فَأَخْرَجْنَا بِهِ}، وقوله: {كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ} وقوله {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ} إلى قوله {وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ} لَا يَتَأْتِي أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ مُوسَى؛ فلذلك جَعَلْنَاهُ مِنْ كَلَامِ الْبَارِي تَعَالَى. ويكون فيه الالتفات من ضمير الغَيْبَةِ إلى ضمير المتكَلِّمِ المعظمِ نَفْسَهُ، فَإِنْ قُلْتَ: أَجْعَلُهُ مِنْ كَلَامِ مُوسَى، يعني أَنَّهُ وَصَفَ رَبَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْإِخْبَارِ عَنِ اللَّهِ بِلَفْظِ الْمُتَكَلِّمِ. قيل: إِنَّمَا جَعَلْنَاهُ التَّفَاتًا فِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ وَاحِدٌ بخلاف هذا، فإنه لَا يَتَأْتِي فِيهِ الالْتِفَاتُ الْمَذْكُورُ وَأَخَوَاتُهُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ.

وقرأ الكوفيون "مَهْدًا" بفتح الميم وسكون الهاء من غير ألفٍ. والباقون "مِهَادًا" بكسر الميم وفتح الهاء وألفٍ بعدها. وفيه وجهان: أحدهما: أَنَّهُمَا مُصْدِرَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ يُقَالُ: مَهَّدْتُهُ مَهْدًا وَمِهَادًا، والثاني: أَنَّهُمَا مُخْتَلَفَانِ، فَالْمِهَادُ هُوَ الْأِسْمُ وَالْمَهْدُ هُوَ الْفِعْلُ، أَوْ أَنَّ مِهَادًا جَمْعُ مَهْدٍ نَحْوُ: فَرَخٌ وَفِرَاحٌ وَكَعْبٌ وَكِعَابٌ. وَوَصِفُ الْأَرْضِ بِالْمَهْدِ: إِمَّا مَبَالِغَةً، وَإِمَّا عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ أَي: ذَاتِ مَهْدٍ. (١)

وقال الشَّيْخُ الدَّرَوِيشُ: " الَّذِي خَبَرَ مُبْتَدَأَ مُحذُوفٍ، أَي: هُوَ، وَجُمْلَةٌ جَعَلَ صَلَةً، وَلَكُمْ حَالٌ لِأَنَّهُ كَانَ صِفَةً لِمِهَادًا، وَالْأَرْضُ مَفْعُولٌ بِهِ أَوَّلٌ، وَمِهَادًا مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ... " (٢)

* (١٥) سورة الحج: الآية (٧٨)

[وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ...] {الحج: ٧٨}

(١) الدر المصون: ١ - ١٢٤٣، ٤٠٦٩، ٤٠٧٠.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤ - ٦٨٧.

ذهبَ الفَرَاءُ، وأبو جعفر النَّحَّاسُ، والألوسِيُّ إلى أَنَّ (جعل) في هذه الآية بمعنى (وسَّعَ)، ووافقهم الطَّبْرِيُّ الَّذِي قَالَ إِنَّهَا بمعنى (ما ضَيَّقَ)، وذهبَ الزَّمَخْشَرِيُّ إلى أَنَّهَا بمعنى (فتحَ بابَ التَّوْبَةِ، وَفَسَّحَ)، وذهبَ العُكْبَرِيُّ، والسَّمِينُ الحَلْبِيُّ إلى أَنَّهَا بمعنى (سهَّلَ)، وذهبَ الشَّيْخُ الدَّرَوِيْشُ إلى أَنَّهَا بمعنى (صَيَّرَ) تلميحاً وليسَ تصريحاً، وهذه بعضُ أقوالهم في هذا الشَّانِ: حَيْثُ قَالَ الفَرَاءُ: " وَقَوْلُهُ: فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ، مِنْ ضَيْقٍ. وَقَوْلُهُ (مِلَّةً أَبْيَكُمْ) نَصَبَتْهَا عَلَيَّ: وَسَّعَ عَلَيْكُمْ كَمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ) يَقُولُ: وَسَّعَهُ وَسَمَّحَهُ كَمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، فَإِذَا أَلْقَيْتَ الْكَافَ نَصَبْتَ. وَقَدْ تَنَصَّبُ (مِلَّةً إِبْرَاهِيمَ) عَلَى الْأَمْرِ بِهَا ؛ لِأَنَّ أَوَّلَ الْكَلَامِ أَمْرٌ كَأَنَّهُ قَالَ: ارْكَعُوا وَالزَّمُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ. " ^(١)

وقال الطَّبْرِيُّ: " وَقَوْلُهُ (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ رِبْكَمَ فِي الدِّينِ الَّذِي تَعَبَّدُكُمْ بِهِ مِنْ ضَيْقٍ، لَا مَخْرَجَ لَكُمْ مِمَّا ابْتَلَيْتُمْ بِهِ فِيهِ، بَلْ وَسَّعَ عَلَيْكُمْ، فَجَعَلَ التَّوْبَةَ مِنْ بَعْضِ مَخْرَجِهَا، وَالْكَفَّارَةَ مِنْ بَعْضِهَا، وَالْقَصَاصَ مِنْ بَعْضِهَا، فَلَا ذَنْبَ يَذْنِبُ الْمُؤْمِنُ إِلَّا وَلَهُ مِنْهُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ مَخْرَجٌ.

عن ابن عباس، قوله (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ) يقول: ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق، هو واسع، وهو مثل قوله في الأنعام (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا) يقول: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَضِلَّهُ يَضِيقُ عَلَيْهِ صَدْرَهُ حَتَّى يَجْعَلَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ ضَيْقًا، وَالْإِسْلَامَ وَاسِعًا.

... أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ يقول: من ضيق، يقول: جعل الدين واسعا ولم يجعله ضيقا. وقوله (مِلَّةً أَبْيَكُمْ إِبْرَاهِيمَ) نصب ملة بمعنى: وما جعل عليكم في الدين من حرج، بل وسعه، كَمِلَّةِ أَبْيَكُمْ، فلما لم يجعل

(١) معاني القرآن: ٢ - ٢٣١.

فيها الكاف اتصلت بالفعل الذي قبلها فنصببت، وقد يحتمل نصبها أن تكون على وجه الأمر بها، لأن الكلام قبله أمر، فكانه قيل: اركعوا واسجدوا وألزموا ملة أبيكم إبراهيم. ^(١) َ

وقال الشيخ الدرويش: " وما عاطفة، وما نافية، وجعل فعل ماضٍ، وفاعله مُستترٌ تقديره: هو، وعليكم مُتعلّقان بمحذوفٍ مفعولٌ به ثانٍ لجعل، وفي الدّين حالٌ، ومن حرف جر زائد، وخرج مجرور لفظاً منصوب محلاً، لأنَّه مفعولٌ جعل الأول. " ^(٢)

رأي الباحث: ذهب الفراء، وأبو جعفر النّحاس، والألوسي إلى أن (جعل) في هذه الآية بمعنى (وسّع)، ووافقهم الطّبري الذي قال إنّها بمعنى (ما ضيّق)، وذهب الزّمخشري إلى أنّها بمعنى (فتح باب التوبة، وفسّح)، وذهب العكبري، والسّمين الحلبي إلى أنّها بمعنى (سهّل)، وذهب الشّيخ الدّرويش إلى أنّها بمعنى (صيّر) تلميحاً وليس تصريحاً. وأنا أتفق مع جمهور العلماء فيما ذهبوا إليه.

^(١) جامع البيان: ١٨ - ٦٨٩، ٦٩١.

^(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٥ - ١٨٢.

* ملحق بمواطن ورود الفعل (جعل) ودلالاتها عند التحويين والمفسرين:

السورة	الآية	دلالة الفعل (جعل)
البقرة	[الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا {البقرة: ٢٢}]	صَيَّرَ: عند الجمهور صَيَّرَ، خلق: عند العكبري
	[فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا] {البقرة: ٦٦}	صَيَّرَ: عند الجمهور
	[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً] {البقرة: ١٤٣}	صَيَّرَ: عند الجمهور شَرَعَ وحكم: عند الفخر الرزي هدى: عند أبي حيّان
النساء	[وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا] {النساء: ٥}	صَيَّرَ، أو خلق، أو أوجد: عند الجمهور
	[فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا] {النساء: ٩٠}	أَذِنَ: عند الجمهور صَيَّرَ: عند السّمين، والدرويش
المائدة	[وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا] {المائدة: ٢٠}	الأولى بمعنى: أرسل، أو بعث، أو أوجد، والثّانية بمعنى: صَيَّرَ: عند الجمهور.

السُّورَةُ	الآيَةُ	دلالة الفعل (جعل)
	[وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ] {المائدة: ٦٠}	صَيَّرَ: عند الجمهور خلق: عند أبي علي الفارسي
	قوله تعالى: [جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ] {المائدة: ٩٧}	صَيَّرَ: عند الجمهور صَيَّرَ، حكم: عند الرّزي صَيَّرَ، وخلق: عند العكبري، والسّمين الحلبي، والألوسي، والدّرويش. صَيَّرَ، بيّن: عند أبي حيّان
	[مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ] {المائدة: ١٠٣}	سنّ، وشرع: عند ابن عطية صَيَّرَ، سمّى: عند ابن سيدة، وأبي حيّان أوجب، وأمر: عند الفخر الرّازي. سمّى: عند السّمين، وأبي البقاء شرّع ووضع: عند أبي البقاء، والرّمخشري، وابن عطية

السورة	الآية	دلالة الفعل (جعل)
		خلق، وصيّر: عند الدرويش
الأنعام	[الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ] {الأنعام: ١}	اتّصال الفعل ودوامه: عند الطّبري. صنع، وخلق: عند الزّجاج أحدث، وأنشأ: عند الرّمخسري، (وفرق بين الخلق والجعل)، والفخر الرّازي. خلق: عند الجمهور أوجد: عند الرّاعب الأصفهاني
	[فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا] {الأنعام: ٩٦}	خلق، صيّر: عند الجمهور
	[وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ] {الأنعام: ٩٧}	خلق، وأنشأ: عند الجمهور
الأعراف	[هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ] {الأعراف: ١٨٩}	خلق: عند الجمهور خلق، وصنع: الزّجاج
التوبة	[فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] {التوبة: ٤٠}	صيّر: عند الجمهور وصف: عند النّحاس

السُّورَةُ	الآيَةُ	دلالة الفعل (جعل)
يونس	[هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا] {يونس: ٥}	صَيَّرَ: عند الجمهور . أضاء وأنار: عند الطَّبَّري خلق: عند العكبري، وأبي حيَّان أنشأ: عند السَّمين وابن عادل
	[هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ] {يونس: ٦٧}	صَيَّرَ، خلق، أبدع: عند الألوسي، والدَّرويش
هود	[وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ] {هود: ١١٨}	صَيَّرَ: عند الدَّرويش
يوسف	[قَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ] {يوسف: ٧٠}	وضع: عند الطَّبَّري أمر أن توضع: عند ابن عطية وأبي حيَّان
الرَّعد	[وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُجُجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغِشِّي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] {الرعد: ٣}	الأولى بمعنى: أرسى عند الجمهور . والثَّانية بمعنى خلق: عند الجمهور .

السورة	الآية	دلالة الفعل (جعل)
النحل	[وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً] {النحل: ٧٢}	الأولى والثانية بمعنى خلق: عند الجمهور
	[وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُم السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] {النحل: ٧٨}	رغب: عند الرّمخشري خلق: عند ابن الجوزي أعطى: عند الفخر الرّازي وابن عادل. خلق، صير: الأ لوسي
	[وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ] {النحل: ٨٠}	خلق: عند ابن الجوزي صير، وخلق: عند السّمين، والدّرويش
	[وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بِأَسْكُم كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ] {النحل: ٨١}	خلق: عند الثّحاس الجمهور لم يحدّدوا دلالتها
الإسراء	[أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا] {الإسراء: ٩٩}	صير: عند الدّرويش

السُّورَةُ	الآيَةُ	دلالة الفعل (جعل)
		الجمهور: لم يحدِّدوا دلالة جعل واكتفوا بالتفسير
مريم	إِنَّمَا آدَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا [مريم: ٢٤]	الجمهور اكتفى بتفسير الآية ولم يحدِّدوا دلالة جعل. خلق، أو صيَّر: عند السَّمين الحلبي وابن عادل
طه	[الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَوَّاكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا] [طه: ٥٣]	مهَّد: عند الطَّبَّري، والرَّمْخَشَرِي، وأبي حَيَّان. صَيَّر: عند الدَّرويش
الحجَّ	[وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ] [الحج: ٧٨]	وسَّع: عند الفَرَّاء، والطَّبَّري، والنَّحَّاس، والألُّوسي فتح باب التَّوْبَةِ، وفَسَّح: عند الرَّمْخَشَرِي سهَّل: عند العُكْبَرِي، والسَّمين

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه واتبع سنته إلى يوم الدين. أما بعد،

فهذه دراسة عنوانها: (جعل في الدراسات المعجمية النحوية، وأوجه إعرابها في القرآن الكريم، دراسة وصفية دلالية).

فقد عرض البحث استعمالات الفعل (جعل) الدلالية في نماذج من التراكيب القرآنية التي اختيرت من السور الطوال في القرآن الكريم، ومواقف اللغويين والنحويين والمفسرين ومعربي القرآن من دلالة الفعل (جعل) في هذه التراكيب.

وأقصد بالدلالة هنا: ما يُشير إليه بعض الدارسين بالمصطلح الآخر " المعنى " Meanin " وقد اختص بدراسة الدلالة، أو المعنى اللغوي، فرع من فروع علم اللغة هو علم الدلالة أو علم المعنى semantic، الذي تتفق الدراسات اللغوية على تعريفه بأنه دراسة المعنى، أو البحث في المعاني ومسكلاتها، " ولأن المعنى يُعد جزءاً من اللغة، يُعد علم المعنى جزءاً من علم اللغة " (١).

وقد كشفت هذه التراكيب عن بعض النتائج أوجزها فيما يلي:

(١) Pal, mer: Semantics P. !. نقلاً عن المعجم العربي وعلم الدلالة. د. محمد أحمد حماد، د. أحمد محمد كشك، دار النشر الدولي بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. ص ٢٤٣.

* أولاً: أَكَّدَتِ الدِّرَاسَةُ أَنَّ الْفِعْلَ (جَعَلَ) تَوَاتَرَ فِي السُّورِ الطُّوَالِ فِي سِيَاقِ تَرَكَيبِ ذَاتِ بَنِيَّةٍ لُغَوِيَّةٍ خَاصَّةً، مِمَّا يَعْنِي أَنَّهُ يُمَثِّلُ ظَاهِرَةً أَسْلُوبِيَّةً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ مَا ظَهَرَ فِي تَرَكَيبِ النَّمَاذِجِ الْمُخْتَارَةِ.

* ثانياً: تَرْتَبِطُ هَذِهِ الْأَبْنِيَّةُ اللَّغَوِيَّةُ الصُّغْرَى، فِي سِيَاقِ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا، بِدَلَالَاتٍ تَوَاتَرَتْ لِلْفِعْلِ (جَعَلَ) هِيَ: التَّصْيِيرُ، وَالْخَلْقُ، وَالْإِنْشَاءُ. وَالصَّنَاعَةُ، وَالْحُكْمُ، وَالتَّسْمِيَةُ، وَالْإِحْدَاثُ، وَالْإِبْدَاعُ، وَالتَّشْرِيعُ، وَالْإِلْقَاءُ ... إلخ.

* ثالثاً: هَذِهِ الدَّلَالَاتُ الْخَاصَّةُ بِالْفِعْلِ (جَعَلَ) جَاءَتْ مُنْفَرَدَةً أحياناً، وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ جَاءَتْ مُتَدَاخِلَةً. وَهُوَ مَا ظَهَرَ فِي تَحْلِيلِ النَّمَاذِجِ الْمُخْتَارَةِ.

* رابعاً: مَوَاقِفُ اخْتِلَافِ النُّحَاةِ وَالْمُفَسِّرِينَ أَكْثَرَ مِنْ مَوَاضِعِ اتِّفَاقِهِمْ، وَيَعُودُ ذَلِكَ إِلَى اخْتِلَافِ أَفْهَامِهِمْ وَتَأْوِيلَاتِهِمْ لِلْفِعْلِ (جَعَلَ) فِي السِّيَاقِ بِحَسَبِ مَا ظَهَرَ مِنْ تَحْلِيلَاتِهِمْ النَّحْوِيَّةِ وَالتَّفْسِيرِيَّةِ لِلتَّرْكَيبِ الْقُرْآنِيِّ. لَكِنْ هَذَا يَكْشِفُ مِنْ وَجْهَةٍ أُخْرَى عَنْ اتِّصَافِ التَّرْكَيبِ الْوَارِدِ فِيهِ الْفِعْلَ (جَعَلَ) بِالْإِحْتِمَالِ الدَّلَالِيِّ وَهُوَ مَا يَجْعَلُ الْآيَةَ ثَرِيَّةً بِالدَّلَالَاتِ.

خامساً: كَشَفَ " الْإِحْتِمَالُ الدَّلَالِيُّ " لِلْفِعْلِ (جَعَلَ) مِنْ خِلَالِ تَحْلِيلَاتِ النُّحَاةِ وَالْمُفَسِّرِينَ، عَنْ حُضُورِ الدَّلَالَتَيْنِ مَعاً: التَّصْيِيرِيَّةِ وَالْخَلْقِيَّةِ فِي أَكْثَرِ التَّرْكَيبِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَيُمْكِنُ أَنْ تُفَسَّرَ ذَلِكَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كَثِيراً مَا يَجْعَلُ تَقْلِيْبَ النَّظَرِ فِي الْآيَاتِ الْكُونِيَّةِ وَالظَّوَاهِرِ سَبِيلاً لِمَعْرِفَتِهَا وَإِدْرَاكِهَا، وَمِنْ ثَمَّ الْوَصُولُ إِلَى الْعِلْمِ أَوْ الْحَقَائِقِ الَّتِي لَا لِبَسَ فِيهَا وَلَا شَكَّ، وَهَذِهِ النَّتِيجَةُ تَحْدِيداً مُهِمَّةً ؛ لِأَنَّ الْأَبْنِيَّةَ اللَّغَوِيَّةَ الْخَاصَّةَ لِتَرَكَيبِ الْفِعْلِ (جَعَلَ) الَّتِي تَوَاتَرَ فِي الْقُرْآنِ عَمُوماً مِثْلَ: " [وَعَرِّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا] {الكهف: ٤٨} [أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ] {ص: ٢٨} [أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا] {المرسلات: ٢٥} [أَلَمْ نَجْعَلِ

الأَرْضَ مِهَادًا] {النَّبَأُ: ٦} [أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ] {الْبَلَدُ: ٨} ترتبطُ بلفتِ الانتباهِ والعقلِ إلى آياتِ وظواهر، النَّظَرُ العقليُّ فيها يوصلُ إلى حقائق لا شكَّ فيها في الكونِ وفي العقيدة.

* سادساً: اعتمد النُّحاةُ والمفسِّرون على التَّعليلِ المُستندِ على التَّحليلِ اللُّغويِّ للتَّراكيبِ القرآنيَّةِ الَّتِي وردَ فيها الفعلُ (جعل) ؛ لبيانِ الدَّلالةِ الَّتِي يرونها، وكانَ منهجُهم ترجيحُ دلالةٍ على أخرى، وفي مواضع لم يقطعوا صراحةً بالدَّلالةِ، وجَوَّزوا الوجهين. وهو ما يؤكِّد وجودَ ظاهرةٍ " الاحتمالِ الدَّلالي " في القرآنِ الكريمِ للفعلِ (جعل)، كما يكشفُ أنَّ منهجهم كانَ وصفيّاً دلاليّاً؛ فقد كانوا يتوصَّلون إلى الدَّلالةِ التَّصويريَّةِ أو الخلقيةِ أو...، أو تجويزِ إحداها على الأخرى من خلالِ وصفِ التَّركيبِ القرآنيِّ وصفاً يتضمَّنُ التَّعليلَ لما يَرَجِّحونه، أو يجوزونه.

* وهُنَاكَ نتائجُ أخرى ظهرت في هذه الدِّراسة نوجزُها فيما يلي:

أ- بيَّنت الدِّراسة وجوهَ الجعلِ في القرآنِ الكريمِ، وأنَّه على خمسةِ وجوهٍ كما ذكرَ المقرئ.

ب- فرَّقت الدِّراسة بينَ مصطلحِ (الخلق) ومصطلحِ (الجعل) ففي الخلقِ معنى التَّقدير، وفي الجعلِ معنى التَّضمين، كإنشاءِ شيءٍ من شيءٍ أو تصويرِ شيءٍ شيئاً، أو نقله من مكانٍ إلى مكانٍ، ومن ذلك [هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا] {الأعراف: ١٨٩}

[الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ] {الأنعام: ١} ؛ لأنَّ الظلمات من الأجرامِ المتكاثفةِ والنُّور من النَّارِ أزواجا... وهو ما ظهر عند الرَّمْخسريِّ.

ج - أفادت الدِّراسةُ من المصادرِ التَّفْسِيرِيَّةِ في المواطنِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِأَسْبَابِ النِّزُولِ،
والَّتِي سَاعَدَتْ فِي تَحْدِيدِ نَوْعِ الدَّلَالَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ.

د - وَضَّحَتْ الدِّراسةُ فِي قَلِيلٍ مِنَ الْمَوَاطِنِ الْقُرْآنِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي الْفِعْلِ (جَعَلَ) وَبَيَّنَّتْ
كَيْفِيَّةَ تَوْجِيهِهَا عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ وَالْمُفَسِّرِينَ، مُسْتَعِينَةً بِمَصَادِرِ الْاِحْتِجَاجِ فِي هَذَا الْمِيقَانِ مِثْلَ
كِتَابِ " الْحِجَّةُ " لِابْنِ خَالَوَيْهِ.

هـ - قَدَّمَتِ الدِّراسةُ حَصْرًا بِدَلَالَاتِ الْفِعْلِ (جَعَلَ) فِي الْجَدْوْلِ الْمُلْحَقِ بِهِ.

وَفِي النِّهَايَةِ لَا أَمْلِكُ إِلَّا أَنْ أَقُولَ:

[رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ] {النمل: ١٩}

وَفَقَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أساس البلاغة: لمحمود بن عُمر الرّمخشري، مكتبة لبنان ناشرون ١٩٩٦م.
- إعراب القرآن: المنسوب للزجاج، تحقيق ودراسة إبراهيم الإبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري بالقاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروزآبادي. المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.
- البحر المحيط: لأبي حيّان الأندلسي (٧٥٤هـ) دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١م، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوّض، د. زكريا عبد المجيد النوقي، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
- البيان في غريب إعراب القرآن: لأبي الركات بن الأنباري (٥١٣هـ - ٥٧٧هـ) تحقيق طه عبد المجيد طه، مراجعة مصطفى السّقا، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م.
- تهذيب اللغة: للأزهري: محمد بن أحمد أبو منصور المتوفى (٣٧٠هـ) تحقيق محمد عوض مرعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى. ٢٠٠١م. موقع الكتاب: الوراق. المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.
- التبيين في إعراب القرآن: لأبي النقاء عبد الله بن الحسين العُكبري (٥٣٨هـ - ٦١٦م) مكتبة جزيرة الورد، مكتبة الإيمان القاهرة.

- تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة: لإسماعيل بن حمَّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطَّبعة الرَّابعة ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
- تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمَّد بن محمد بن عبد الرَّازق الحُسَيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزَّبيدي. تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
- جامع البيان في تأويل أي القرآن: لمحمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأُملي أبي جعفر الطَّبري (ت ٣١٠هـ) تحقيق. أحمد محمد شاكر، مؤسَّسة الرِّسالة للنَّشر، الطَّبعة الأولى ١٤٢٠هـ — ٢٠٠٠ م. المكتبة الشَّاملة. موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف.
- الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، مصدر الكتاب: موقع يعسوب. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني
- جمهرة اللُّغة: لأبي بكر بن دُرَيد (٣٢٠هـ) تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت الطَّبعة الأولى ١٩٨٧ م.
- الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمَّد علي النَّجَّار، القاهرة ١٩٥٢ م.
- الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأحمد بن يوسف بن عبد الدَّائم المعروف بالسَّمين الحلبي، المتوفى سنة (٧٥٦ هـ). المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.

- زاد المسير في علم التفسير: لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧ هـ) الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ، الشاملة الثاني.

- الصّاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥ هـ) شرح وتحقيق السيّد أحمد صقر، تقديم د. عبده الرّاجحي، سلسلة الذّخائر (٩٩) الهيئة العامّة لقصور الثقافة ٢٠٠٣ م.

- العين: لأبي عبد الرّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السّامرائي، دار ومكتبة الهلال. بيروت، لبنان، ١٩٩٠ م. المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.

- القاموس المحيط: للفيروزآبادي، موقع الكتاب الورّاق. المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.

- الكامل في اللغة والأدب: للمبرّد، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم والسّيّد شحاته، القاهرة ١٩٥٦ م.

- الكتاب: لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) خمسة أجزاء، تحقيق عبد السّلام هارون، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ١٩٦٦ - ١٩٧٧ م.

- الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزّمخشري، (ت ٥٢٧ هـ).

- لسان العرب: لمحمّد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري دار صادر، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى ١٩٥٥ - ١٩٥٦ م. مصدر الكتاب برنامج المحدث المجاني، مرفق بالكتاب حواشي اليازجي وجماعة من اللّغويين. المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.

- المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمَّد محمَّد بن عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٣ هـ). تحقيق المجلس العلمي بمكناس، المغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.
- مفاتيح الغيب: للفخر الرّازي، دار إحياء الكتب العربيّة، مطبعة بولاق. المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.
- معاني القرآن: للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، دراسة وتحقيق د. عبد الأمير محمَّد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.
- معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) تحقيق أحمد يوسف نجاتي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، الطّبعة الثالثة، ١٩٨٠ م.
- مُشْكَلُ إِعْرَابِ الْقُرْآن: لأبي محمَّد مكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥ - ٤٣٧ هـ) تحقيق د. حاتم صالح الضّامن، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، الطّبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.
- مقاييس اللّغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السّلام هارون، اتّحاد الكُتّاب العرب، الطّبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م. المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.
- المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المُرسي، تحقيق د. عبد الحميد هنداي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكُتب العلميّة، بيروت لبنان، الطّبعة الأولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م.
- المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق محمد سيّد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.

-
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (٧٧٠هـ) لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان. المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث بالقاهرة، مطبعة دار الكتب العلمية ١٣٤٦ هـ
- مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت ٢١٠ هـ)، عارضه بأصوله وعلق عليه د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- المعجم العربي وعلم الدلالة. د. محمد أحمد حمّاد، د. أحمد محمد عيس، د. أحمد محمد كشك، دار النشر الدولي بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م.

The use of ja'ala in the lexical and grammatical studies and its parsing aspects in the Holy Qur'an: A descriptive and semantic study

Abstract:

This research falls into the field of the lexical and grammatical studies and its parsing aspects in the Holy Qur'an: A descriptive and semantic study

The title of the study was formulated from the problem that the research examines, i.e. the attitudes of linguists, grammarians, and commentators of the semantic use of the verb (ja'ala), with its multiple connotations in different Qur'anic contexts, and what is related to their positions in terms of their different grammatical and exegetical schools as well as their intellectual affiliations, which ultimately had an impact on these positions.

Aims of the Research:

(1) Investigating the secret beyond the difference of semantics in the Qur'anic expression of the verb (ja'ala). In addition, is there a difference between the lexical meaning of the verb (ja'ala) and the rhetoric expression in the Holy Qur'an. Hence, this study comes to clarify this topic in a clear and accurate manner;

(2) Investigating the Quranic use of the verb (ja'ala) with its various connotations in different Quranic contexts;

(3) Identifying the scientific position of both grammarians and commentators of this use, and through that disclosing the aspects of agreement and difference between them, and the reasons behind this disagreement or agreement;

(4) Clarifying the role of the Qur'anic miracles of verb (ja'ala) in various Qur'anic contexts.

Descriptors: verb (ja'ala)- Holy Qur'an- contexts- aspects of agreement